اقرأ

على أحمد باكثير

من فوق سبع سماوات

٧ مسرحيّات إسلاميّة

اقرأ

تصدر فى أول كل شهر

رئيس التحرير: السيد أبو النجا

دار المعارف بمصر

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

خذ المعارف من دار المعارف

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 25 / شعبان / 1447 هـ
الموافق 13 / 02 / 2026 م

سرمد حاتم شكر السامرائي

م. سرمد حاتم شكر

علي أحمد باكثير

من فوق سبع سماوات

٧ تمثيليات إسلامية

اقرأ ٣٦٣

دار المعارف بمصر

اقرأ ٣٦٣ – ١٥ يناير سنة ١٩٧٣

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.م.ع.

من فوق سبع سماوات

١

في بيت أبي ذر الغفاري الصحابي الزاهد
[يدخل عليه فتى شاب فيستقبله أبو ذر مرحباً]

ثعلبة : معذرة يا صاحب رسول الله إذ جئتك من غير سابق معرفة .

أبو ذر : لا بأس يافتى . . من تكون ؟

ثعلبة : أنا ثعلبة بن حاطب .

أبو ذر : من الأنصار ؟

ثعلبة : أجل . . من بني عمرو بن عوف .

أبو ذر : أهلا وسهلا . . اجلس .

ثعلبة : أنا فتى مسكين يا أبا ذر وقد بلغني أنك تحب الصدقة فأحببت أن ينالني شيء من بِرّك .

أبو ذر : (في استغراب) أنت فتى مسكين ؟ !

ثعلبة : إي والله يا أبا ذر لا أملك شروى نقير .

أبو ذر : ويحك يافتى ، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس المسكين بهذا الطوّاف الذي يطوف على الناس فتردّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، إنما

المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم : "لا يسألون الناس إلحافاً" . وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول : «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مُزْعة لحم» .

ثعلبة : ويحك يا أبا ذر تريد أن تتنصل بهذا من عطائى .

أبوذر : كلا وإنما أردت نصيحتك . إنك شاب جلد تستطيع أن تعمل فتكسب من عملك .

ثعلبة : أى عمل أعمل ؟

أبوذر : اعمل أى شيء ولو أن تحتطب فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» .

ثعلبة : ياصاحب رسول الله امرأتى توشك أن تضع وما عندنا شيء وتوصينى أنت بالاحتطاب فى الجبل ؟ !

أبوذر : امرأتك توشك أن تضع ؟

ثعلبة : ما كنت لأحضر إليك لولا ذلك .

أبوذر : [يغيب داخل البيت لحظة ثم يعود حاملا معه كيسين] ما عندى غير هذا الصاع من التمر وهذا

الصاع من الشعير فخذهما يا ثعلبة ولو كان عندى أكثر لأعطيتك .

ثعلبة : جزاك الله خيراً يا أبا ذر . إن فى هذا لبلاغًا لنا إلى حين .

٢

[فى بيت ثعلبة]

ثعلبة : (يضع الصاعين أمام زوجته زهيرة) زهيرة خذى هذا فاحفظيه ليوم وضعك .

زهيرة : ماذا تقول يا ثعلبة ؟ إنى بعد فى شهرى السادس .

ثعلبة : سيجىء شهرك التاسع وشيكًا فينفعك يومئذ ، إياك أن تصيبى منه شيئًا قبل يوم وضعك .

زهيرة : ربما نحتاج إليه قبل ذلك .

ثعلبة : كلا لا تمسيه إلا يوم وضعك .

زهيرة : فيما يا ثعلبة ؟

ثعلبة : لقد أعطانيه أبو ذر من أجل ذلك وما ينبغى لى أن أكذب على صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زهيرة : إلى متى يا ثعلبة تسأل الناس؟ ألا ترى لك عملا خيراً من ذلك؟

ثعلبة : (غاضبًا) اسكتى يا امرأة . لو كان أبوك غنيًّا لأغنانى عن ذلك .

٣

[بيت أبى ذر]

أبو ذر : ما فعلت امرأتك يا ثعلبة ؟ هل وضعت ؟

ثعلبة : لا ياصاحب رسول الله . ما زلنا ننتظر وضعها . وقد تصدقت ببعض ما أخذته منك .

أبوذر : تصدقت ؟

ثعلبة : نعم إنى أشتهى يا أبا ذر أن يكون لى مال كثير فأتصدق به .

أبو ذر : قد جعل الله لك مخرجًا يا ثعلبة .

ثعلبة : كيف ؟

أبو ذر : تعدل بين الاثنين صدقة . وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة ، وتأمر بالمعروف صدقة ، وتمسك عن الشر صدقة ؛ هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثعلبة : لكنى يا أبا ذر أريد أن أتصدق بالمال على الفقراء والمساكين .

أبو ذر : يا هذا إنى أرى بك حرصًا شديداً على المال .

ثعلبة : لشدة حرصى على الصدقة يا أبا ذر.

أبو ذر : فاصبر حتى ييسر الله لك رزقًا .

ثعلبة : ماذا ترى لو ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يدعو لى بالغنى ؟

أبو ذر : إن شئت أن تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله أن يدعو لك بما هو خير من المال .

ثعلبة : لاشيء يعوزنى غير المال يا أبا ذر . أستطيع أن أصلى كما أشاء وأن أصوم كما أشاء وأن أسبح الله كما أشاء ولكنى لا أستطيع أن أتصدق بالمال على أحد .

٤

ثعلبة : (يرجع إلى بيته فرحًا) زهيرة ! زهيرة !

زهيرة : ما خطبك يا ثعلبة ؟

ثعلبة : أبشرى يا زهيرة فسأكون غنيًّا ويكون لى مال كثير .

زهيرة : من أين يا ثعلبة ؟

ثعلبة : من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زهيرة : أعطاك النبى مالا ؟

ثعلبة : أعطانى ما هو خير من ذلك . أعطانى شيئاً لا ينفد أبداً .

زهيرة : دعا لك بالجنة ؟

ثعلبة : بالجنة ؟ دعا بالرزق . . بالغنى . . بالمال الكثير .

زهيرة : الحمد لله . ستنقطع إذن عن سؤال الناس .

ثعلبة : ويلك أنا الذى سأتصدق على الناس .

زهيرة : فابدأ صفحتك اليوم بخير . أخرج زكاة الفطر التى عليك .

ثعلبة : زكاة الفطر ؟

زهيرة : نحن فى آخر رمضان .

ثعلبة : ما عندنا شىء يا زهيرة .

زهيرة : بلى . عندنا صاع من التمر وصاع من الشعير .

ثعلبة : هذا أعددناه ليوم وضعك ولا يصح أن نكذب على أبى ذر !

زهيرة : ويلك . أبو ذر لا يرضى لك أن تمنع زكاة الفطر . وبعد فماذا تخاف ؟ أليس قد دعا لك النبى صلى الله عليه وسلم ؟

ثعلبة : إنى ما أصبحت غنياً بعد .

زهيرة : ويلك ألا تخشى أن تحبط دعوة النبى صلى الله عليه وسلم إذا أنت منعت الزكاة الواجبة عليك ؟

ثعلبة : (يصمت قليلا) صدقت يا زهيرة . . سأخرجها اليوم . . هاتى ما عندك أسرعى .

٥

أبو ذر : ماذا أصابك يا ثعلبة ؟ ما عدت أراك تصلى فى المسجد كدأبك .

ثعلبة : معذرة يا أبا ذر . . قد تركت بيتى الصغير بالمدينة واتخذت لى منزلا أوسع فى الضاحية .

أبو ذر : ويلك هلا اتخذت المنزل الأوسع فى ذات المدينة لتكون قريباً من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثعلبة : لا يمكننى ذلك يا أبا ذر فقد كثرت غنمى فأشفقت أن تضيق بها أزقة المدينة ويتضرر بها الناس ، ولكنى أشهد الجمعة وأحرص عليها كما ترى .

أبو ذر : غداً تضيق بغنمك مراعى المدينة فتقيم أبعد من الضاحية ولا تشهد حتى الجمعة .

ثعلبة : معاذ الله يا أبا ذر لن تفوتنى صلاة الجمعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً .

أبو ذر : ما أحسب يا ثعلبة إلا أنك ابتليت فانقطع عنى ولا تتردد علىّ .

ثعلبة : (فى لهجة متعالية) ما خطبك يا أبا ذر ؟ أو قد

ثقل عليك أن تضيفنى عندك من الجمعة إلى الجمعة ؟

أبوذر : ويلك ليس بذاك .

ثعلبة : إن شئت جئتك بشيء من عندى عوض ما أصيبه من الطعام عندك فإنى اليوم بحمد الله غنى .

أبوذر : (غاضباً) قبحك الله . ما بى حاجة إلى غناك . اغرب من وجهى وإياك أن تعود إلى .

٦

[فى بيت ثعلبة يظهر على البيت مظاهر الغنى والثروة . ثعلبة يستقبل عامل الصدقة متأففاً] .

العامل : يا ثعلبة بن حاطب . إنى عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات، وقد جئت لأخذ زكاة مالك .

ثعلبة : ما يدرينى أنك عامل رسول الله ؟

العامل : ويلك أأكذب أنا على رسول الله يا ثعلبة ؟

ثعلبة : أنا لا أعرفك .

العامل : هذا كتابه صلى الله عليه وسلم فاطلع عليه (يخرج له كتاباً فيطلعه عليه) .

ثعلبة : (يلين لهجته) لا تؤاخذنى يا أخى فمن الحق على أن أستثبت .

العامل : هلم إذن لتحصى مالك .

ثعلبة : انطلقوا أولا إلى الناس الذين ورائى ثم مروا بى .

العامل : قد فعلنا يا ثعلبة ولم يبق وراءك أحد .

ثعلبة : ما أدرى والله كيف تفرض هذه على المسلمين . ما هذه إلا أخت الجزية !

العامل : قبحك الله . ماذا قلت ؟

ثعلبة : ما قلت إلا خيراً .

العامل : والله لأبلغنها إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

ثعلبة : حذار أن تفعل .

العامل : والله لأفعلن يا منافق .

ثعلبة : إذن والله لأشهدن عليك عنده أنك حاولت أن تغل فى الصدقة فلما لم أوافقك على ذلك تقوّلت علىّ مالم أقل .

العامل : أتنسى أنه يوحى إليه وعسى أن ينزل الله فيك وحيًا يتلى ؟

ثعلبة : (يلين لهجته) رويدك عندى لك ما هو خير من ذلك . تستر علىّ وأستر أنا عليك .

العامل : (غاضبًا) لحاك الله . ماذا عسى أن تستّر علىّ ؟ اشهدْ علىّ عنده ما بدالك .

ثعلبة : ما أحسبك فى غنى عن هدية أقدمها لك ولعيالك .

العامل : وهذه ثانية . والله لأبلغنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .

ثعلبة : (يحتضنه مظهر الفرح والإعجاب) بوركت ياأخى لقد أيقنت الساعة أنك رجل صدق وأمانة وأن النبى صلى الله عليه وسلم قد أحسن اختيارك .

العامل : (مستخفًّا به) ويلك أتريد أن توهمنى بأنك كنت تختبرنى ؟

ثعلبة : أجلْ ما أردت إلا اختيارك .

العامل : هيهات يا ثعلبة .

ثعلبة : والله الذى لا إله إلا هو ما قصدت غير ذلك .

العامل : وهذه ثالثة يا منافق .

ثعلبة : (محتدًّا) ويلك هل شققت عن قلبى فعرفت ما أبطن ؟

العامل : هلم معى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بين يديه كل ما تريد .

ثعلبة : اسبقنى إليه وسأوافيك على الإثر .

(يخرج العامل وتدخل زهيرة) .

زهيرة : ويحك ماذا فعلت يا ثعلبة ؟

ثعلبة : أكنت تسمعين حديثنا يا زهيرة ؟

زهيرة : من أوله إلى آخره . ويل لك اليوم من وقوف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثعلبة : أيحاسبنى رسول الله على كلمة صغيرة ندّت من لسانى دون قصد ولا نية ؟

زهيرة : بل قصدتها يا ثعلبة . إنك لم تشكر نعمة الله عليك .

ثعلبة : إنى سأعطيهم من مالى ما يريدون فماذا يبقى لهم عندى ؟

زهيرة : انظر ما تقول يا ثعلبة . إنك لا تعطى رسول الله شيئاً من عندك ؛ هذا حق الله فى مالك .

ثعلبة : حق الله فى مالى أو حق رسول الله فى مالى قد أقررت به ولا اعتراض لى عليه . فماذا يريدون منى بعد ؟

زهيرة : أن تخلص لله ولرسوله يا ثعلبة .

ثعلبة : إنى والله لمخلص لله ولرسوله وللمسلمين .

زهيرة : ما كنت لتأتى هذا الذى أتيت اليوم لو كنت كما تزعم .

ثعلبة : أنت أيضاً علىّ يا زهيرة ؟

زهيرة : إنى مشفقة عليك يا ثعلبة .

ثعلبة : ماذا ترين ؟ أأذهب إلى رسول الله أم . . . . ؟

زهيرة : ويلك أفى ذلك خيار يا ثعلبة ؟ أتريد أن يبعث رسول الله من يسوقك سوقًا إليه ؟

ثعلبة : ماذا جنيت حتى أساق إليه ؟ إنى ما كفرت ولا بدلت .

زهيرة : فاسع إليه طائعًا مختاراً قبل أن يبعث فى طلبك . واعترف له بذنبك عسى أن يعفو عنك أو يستغفر الله لك .

ثعلبة : صدقت يا زهيرة إنه والله لرءوف رحيم .

٧

[فى منزل أبى ذر وقد حضر ثعلبة وزوجته زهيرة]

زهيرة : حنانك يا أبا ذر اشفع لزوجى ثعلبة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبو ذر : أشفع له بعد ما نزلت فيه الآية : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدقنّ ولنكوننّ من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوْا وهم معرضون » ؟

زهيرة : ناشده يا أبا ذر أن يقبل صدقته .

ثعلبة : أجل ناشده يا أبا ذر أن يقبل صدقتى فإنها شىء جسيم .

أبو ذر : قد رفضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن يقبلها أبداً لشفاعة أحد .

زهيرة : إنه تائب يا أبا ذر والله يقبل التوبة عن عباده .

أبو ذر : لو علم الله فيه خيراً لقبل النبى صلى الله عليه وسلم توبته.

ثعلبة : فناشده إذن ألا يدعو على مالى فيمحقه .

أبو ذر : أسمعتيه يازهيرة ؟ إنه لا يخاف إلا على ماله .

ثعلبة : سبحان الله وأىّ امرئ لا يخاف على ماله ؟

زهيرة : تبًّا لك . قل إنك تائب نادم .

ثعلبة : أجل يا أبا ذر إنى تائب نادم .

أبو ذر : أين أنت من قوله جل شأنه : « فأعقبهم نفاقًا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » .

ثعلبة : كلا والله ما أنا بمنافق ولا كاذب .

أبو ذر : قاتلك الله. أنكذّب قول الله تعالى ونصدّق قولك ؟ قد شهد الله عليك بذلك من فوق سبع سماوات .

ثعلبة : (فى ارتياع وخوف) من فوق سبع سماوات ؟ من فوق سبع سماوات ؟ (ثم ينفجر مقهقهًا فى نوبة عصبية) هاها هاها ها . . من فوق سبع سماوات !

من فوق سبع سماوات ! أنا خير منك يا أبا ذر قد ذكرنى الله عز وجل من فوق سبع سماوات !

زهيرة : ياويلنا . . إنه جن يا أبا ذر .

ثعلبة : ويحك يا ثعلبة . قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه . من الذى قال ذلك ؟ أتعرفه يا أبا ذر ؟

أبو ذر : ويلك يا منافق . محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى قال لك ذلك .

زهيرة : قد التاث عقله يا أبا ذر فهو مجنون .

أبو ذر : بل هو شيطان . خذيه معك وأغربى به عنى .

ثعلبة : (يقهقه ثانية وزهيرة تدفعه ليخرج) من فوق سبع سماوات ! من فوق سبع سماوات ! (يخرجان)

أبو ذر : (يتمتم فى أسف وخشوع) لاحول ولا قوة إلا بالله. لا حول ولا قوة إلا بالله . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

« ستار »

هلك المتنطعون

١

[فى بيت سلمان الفارسى الصحابى الجليل . حجرة صغيرة متواضعة ليس بها من الرياش غير القليل ولكن يظهر عليها الترتيب والتنسيق . أريكة صغيرة واطئة تكاد تلامس الأرض .

ترى أميمة زوجة سلمان وهى تكنس الحجرة ولاتكاد تفرغ من ذلك حتى تسمع قرعاً على الباب]

أميمة : من ؟

صوت : أنا أم الدرداء .

أميمة : (تفتح الباب) أهلا وسهلا . مرحبًا بك يا أم الدرداء .

أم الدرداء : أظنك كنت تكنسين . أتمى عملك يا أم عبد الله .

أميمة : قد فرغت من الكنس يا أم الدرداء . اجلسى أنت على الرحب والسعة (تجلسان على الأريكة) .

أم الدرداء : كيف حالك يا أم عبد الله وكيف حال سلمان زوجك ؟

أميمة : بنعمة الله وعافيته . وكيف حال أبى الدرداء لعله بخير .

أم الدرداء : تسألينى عن ابى الدرداء . هو كحاله يا أختاه بخير .

أميمة : ما خطبك ؟ أليس كما تحبين ؟

أم الدرداء : بلى ، كما أحب وكما يحب لنفسه .

أميمة : كما يحب لنفسه وليس كما تحبين .

أم الدرداء : أستغفر الله يا أختى لم أقل ذلك .

أميمة : أردت ذلك ولم تقوليه .

أم الدرداء : كلا لست أشكو من أبى الدرداء أى شىء .

أميمة : بل فى نفسك شىء تكتمينه عنى . أنت لست راضية عن زوجك .

أم الدرداء : ويحك يا أم عبد الله من أين جاءك هذا الظن ؟

أميمة : من لحن قولك يا خيرة .

أم الدرداء : لتطب نفسك يا أميمة فإنى راضية راضية .

أميمة : فما بالك على هذه الهيئة ؟

أم الدرداء : ماذا تنكرين من هيئتى ؟

أميمة : شعرك أشعث غُير مدهون ولا مرجّل .

أم الدرداء : كنت أرفو اليوم قميص أبى الدرداء فشغلنى عن إصلاح شعرى .

أميمة : ما أحسبه عرف الدهن منذ أيام . إن لم يكنْ عندك دهن فسأعطيك شيئاً من عندى .

أم الدرداء : بل عندى الدهن ولله الحمد . وعندى المشط كذلك ؛ سأدهن شعرى وأرجله لك حين أزورك [illegible]

أميمة : لى أنا أم لأبى الدرداء ؟

أم الدرداء : لك أنت أولا ثم لأبى الدرداء .

أميمة : بل لأبى الدرداء ، أولاً ثم لى .

أم الدرداء : لا مشاحة يا أميمة . . كما تشاءين .

أميمة : (لا تريد أن تستسلم للجواب الذى تخلصت به أم الدرداء) وهذا الثوب ؟

أم الدرداء : ما باله ؟

أميمة : لا يعجبنى أن أراه عليك فما أنت بعانس ولا أيم .

أم الدرداء : بالله يا أميمة دعينى من هذا . أنا جئت لأأتنس بك لا لتنقدى ثوبى وشعرى .

أميمة : يا خيرة يا بنت أبى حدرد لا ينبغى لك أن تنسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آخى بين المهاجرين والأنصار قد آخى بين زوجى وزوجك .

أم الدرداء : هذا أمر لا ينسى أبداً .

ميمة : فسلمان الفارسى وأبو الدرداء الخزرجى شىء واحد وأنا وأنت شىء واحد .

أم الدرداء : هذا حق .

أميمة : فما ينبغى لى أن ألبس ثوباً خيراً من ثوبك ولا أن أصلح من شعرى مالا تصلحين من شعرك .

أم الدرداء : لا عليك منى فى هذا الشأن يا أميمة فما عندى ميل إلى التزين والتجمل مثلك .

أميمة : أما والله لقد كنت فيما مضى من أملح نساء الأنصار وأجملهن شعراً وأفضلهن زينة وتطرية .

أم الدرداء : ذاك عهد مضى يا أم عبد الله وقد اختلف الحال اليوم .

أميمة : فيم يا أم الدرداء ؟

أم الدرداء : كان أبو الدرداء تاجراً من قبل فأصبح اليوم وقد لزم العبادة وترك التجارة !

أميمة : ما كان أبو الدرداء بموفق فى ذلك .

أم الدرداء : إنه يزعم أنهما لا يجتمعان : العبادة والتجارة .

أميمة : ماذا يمنع ؟ هذا سلمان ما زال حتى اليوم ينسج الخوص ويأكل من كسب يده ويرى ذلك من أفضل العمل .

أم الدرداء : يا أم عبد الله ألا تعلمين أن زوجك شيء آخر ؟ إنه رجل لا يشغله شيء عن شيء .

أميمة : لا ينبغى لك يا أم الدرداء أن تحذى حذو زوجك فتنسى ما ينبغى للمرأة المتزوجة من زينة .

أم الدرداء : لِمَ يَنبغى على المرأة المتزوجة أن تتزين ؟ أليس لزوجها ؟

أميمة : بلى .

أم الدرداء : فزوجى أصبح لا يعنيه اليوم من زينتى شىء . لقد صار سواء عنده اليوم أن أتزين أو لا أتزين ، وأن أتكحل أو لا أتكحل ، وأن أصلح شعرى أو لا أصلحه فلمن تريدين أن أتزين ؟ للشيطان ؟

أميمة : معاذ الله يا أم الدرداء كيف تقولين هذا ؟

أم الدرداء : ماذا أصنع لك ؟ أبيت إلا أن تحاوريني حتى أعلنت لك .

أميمة : نعم ما فعلت ياخيرة . قد كان ينبغى عليك أن تصارحيني بهذا الذى تجدين فى نفسك من أول الأمر .

أم الدرداء : ما خير ذلك يا أختى إلا أن ألقى همى على همك .

أميمة : لعلى أستطيع أن أصنع لك شيئاً .

أم الدرداء : ماذا بوسعك أن تصنعى لى ؟ تهديني ثوباً آخر من ثيابك ؟

أميمة : إذا شئت يا أم الدرداء فإن عندى ما تحبين .

أم الدرداء : كلا يا أم عبد الله . احتفظى بثوبك خيراً لك . أتدرين ماذا صنع زوجى بذلك الثوب الذى أهديتنيه؟

أميمة : ماذا صنع به ؟

أم الدرداء : ما إن رآه ذات يوم عليّ حتى أمرني أن أخلعه وأتصدق به على إحدى فقيرات أهله .

أميمة : غفر الله لأبي الدرداء . والله لأكلمنّ سلمان في شأنه لينصحه .

أم الدرداء : كلا . إياك أن تفعلي يا أم عبد الله .

أميمة : أي بأس في ذلك ؟

أم الدرداء : هذا سرّ بيني وبين زوجي لا ينبغي أن يعلم أني بحت به لأحد .

أميمة : لن يعلم زوجك شيئًا . إن سلمان كما تعلمين لكيّس لبق .

أم الدرداء : كلا يا أختي . إني بعدُ لأستحي من بعلك أكثر مما أستحي من بعلي .

أميمة : سلمان أخ لزوجك فهو بمنزلة أخيك .

أم الدرداء : حتى أخي ابن أبي وأمي أستحي منه في مثل هذا الشأن .

أميمة : فاعلمي إذن أن سلمان قد عرف هذا السر الذي تكتمين .

أم الدرداء : ويلك ممن عرفه ؟

أميمة : منك أنت !

أم الدرداء : ماذا تقولين ؟

أميمة : إنه زاركم ذات يوم فأنكر هيئتك فسألك فقلت له: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ؟

أم الدرداء : يا هنتاه ! حقًّا قلت له ذلك ولكنى ما قصدت هذا المعنى وإنما قلت ماقلته اعتذاراً له كراهية أن يكلف نفسه فيهدينا ثوبًا من عنده .

أميمة : مهما يكن من قصدك فقد فطن سلمان لحقيقة ما بك وإنه لكيّس فطين ، إنى والله لربما أكتم عنه الشىء فيكشفه لى كأنما يقرأ من كتاب .

أم الدرداء : وا حياءاه ! وا خجلتاه !

أميمة : هوّنى عليك فإن هو إلا أخ أمين .

٢

[فى بيت أبى الدرداء . حجرة تشبه الحجرة السابقة إلا أنها أكثر تواضعًا منها .

أبو الدراداء : (يستقبل سلمان الفارسى) مرحبًا بك يا أبا عبد الله يا سابق فارس]

سلمان : (فرحًا) سابق فارس ! بأبى هو وأمى إذ لقبنى بذلك .

أبو الدرداء : صلى الله عليه وسلم .

سلمان : لقد حضرت أنا وأهلى يا أبا الدرداء .

أبو الدرداء : ومرحبًا بأهلك يا أبا عبد الله .

سلمان : سنتغدى ونتعشى عندكم .

أبو الدرداء : على الرحب والسعة يا أخى أين هى امرأتك ؟

سلمان : قد سبقتنى إليكم . داخل الدار عند أهلك .

أبو الدرداء : عجبًا والله ما علمت .

سلمان : وأنّى لك أن تعلم وأنت مشغول يومك كله عن أهلك . وعسى أن تكون مشغولا عنهم ليلك كله كذلك .

أبو الدرداء : ويل بنت أبى حدرد . كان عليها أن تخبرنى (ينادى) أم الدرداء يا أم الدرداء !

أم الدرداء : (صوتها) لبيك يا أبا الدرداء !

أبو الدرداء : هذا سلمان أخى عندى .

أم الدرداء : مرحبًا به وأهلا . وهذه امرأة أخيك سلمان عندى .

أبو الدرداء : مرحبًا بها وأهلا . اصنعى لهما شيئًا يا خيرة ، فإنهما سيتغديان عندنا .

أم الدرداء : وسيتعشيان أيضًا .

أبو الدرداء : أجل أجل . . هيئى لهما ما عندك .

أم الدرداء : قد هيأت كل شىء .

أبو الدرداء : أحسنت ياخيرة . أحسن الله إليك .

٣

أبو الدرداء : هلم يا أباعبدالله فها قدأحضرت أم الدرداء الغداء.

سلمان : (ينظر إلى الصحفة أمامه على الخوان) ما شاء الله . لقد عنيت بنا أم الدرداء فهيأت لنا هذا الطعام الطيب .

أبو الدرداء : كل يا أخى هنيئًا مريئًا .

سلمان : وأنت ألا تجلس فتأكل ؟

أبو الدرداء : اعذرنى يا سلمان فإنى صائم .

سلمان : صائم ؟ أجيء أنا من بيتى لآكل عندك فتصوم ؟

أبو الدرداء : قد نويت الصوم يا أخى قبل أن تحضر .

سلمان : فأفطر الآن إذ حضرت .

أبو الدرداء : ألا تدعنى يا سلمان أتم صومى ؟ وسأجلس معك أحادثك على الطعام .

سلمان : أيصح هذا فى شرعتكم يا معشر العرب ؟

أبو الدرداء : بئس ما تقول يا أخى . إن الله قد أكرمنا بالإسلام فأغنانا عن شرعة العرب .

سلمان : وبئس ما تفعل أنت يا عويمر فإن الإسلام لا يرضى ذلك وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» . والله ما أنا بآكل حتى تأكل .

أبو الدرداء : فسآكل معك إذن يا سلمان . باسم الله .

سلمان : باسم الله .

(يأكل الاثنان من الصحفة)

٤

[أم الدرداء تتزين وتساعدها فى ذلك زوجة سلمان]

أم الدرداء : انظرى يا أختى . لقد جاء زوجك من صلاة العشاء ولما يجئ أبو الدرداء بعد .

أميمة : لعله آت فى الإثر .

أم الدرداء : والله ما هذا بحسن . يكون عنده الضيف فلا يسبق الضيف إلى البيت .

أميمة : اتركى ذلك لسلمان فإنه كفيل بتأديبه .

أم الدرداء : صدقت لقد أدبه اليوم فأحسن تأديبه .

أميمة : هيا أكملى الآن زينتك .

أم الدرداء : قد أكملتها . . ماذا تريدين بعد ؟

أميمة : هذا الطيب لم تمسيه بعد . ضمخى به رأسك وما بين كتفيك .

٥

سلمان : (يدخل عليه أبو الدرداء من الخارج) معذرة يا أبا الدرداء إن سبقتك إلى بيتك .

أبو الدرداء : بل اعذرنى أنا يا أبا عبد الله إذ تأخرت عنك فى المسجد . البيت بيتك على كل حال .

سلمان : غفر الله لأم الدرداء . لقد أكثرت لنا فى العشاء حتى أسرع إلىّ النعاس .

أبو الدرداء : إن كنت تريد النوم فادخل إلى أهلك . فقد أعددنا لكما الحجرة الجوانية .

سلمان : وأنت يا أخى ألا تأوى إلى أهلك ؟

أبو الدرداء : ليس الآن . سأبقى هنا قليلا لأقوم بعض الليل .

سلمان : ويلك كيف يطيب لى ولأهلى النوم فى بيتك وأنت قائم تتهجد وامرأتك ساهرة تنتظرك .

أبو الدرداء : عجبًا لك اليوم يا سلمان ما خطبك ؟

سلمان : إن كنت تكره أن نبيت عندك فدعنا ننصرف إلى بيتنا .

أبو الدرداء : معاذ الله يا أخى . ادخل إلى أهلك وسأدخل إلى أهلى .

سلمان : بل ادخل أنت أولا وسأدخل بعدك .

أبو الدرداء : سمعًا يا أبا عبد الله .

سلمان : وإياك أن تقوم حتى أكون أنا الذى أوقظك من آخر الليل فنقوم معًا ونصلى معًا .

أبو الدرداء : (فى غيظ مكتوم) سمعًا يا سلمان !

٦

[بعد بضعة أيام فى المكان نفسه] .

أبو الدرداء : ما هذا الذى فعلت ياسلمان ؟ كيف تقيم فى بيتى وتحضر طعامًا من بيتك ؟

سلمان : قد صارت لنا ثلاثة أيام فى بيتك فلا ينبغى أن نبقى فى ضيافتك .

أبو الدرداء : كلا يا سلمان إما أن تقيما فى ضيافتنا أو تنصرفا إلى بيتكما .

سلمان : إذن فهلم أنت وأهلك فأقيما فى بيتنا بضعة أيام .

أبو الدرداء : ويحك ما يدعونا إلى ذلك ؟

سلمان : لنتعاون على البر والتقوى . نذهب إلى المسجد معًا ونعود إلى أهلنا معًا ونقوم من آخر الليل معًا .

أبو الدرداء : (محتدًا) يا سلمان قد صبرت لك طويلا وقدآن لى أن أصارحك إنك لم تُعنّى على البر بل شغلتنى عنه . ما عدت أستطيع أن أصوم ولا أن أقوم منذ أقمتما عندنا أنت وأهلك .

سلمان : وقد آن لى أنا أيضًا أن أصارحك . إن كنت تبغى التقرب إلى الله بما تفعل فإن الله تعالى لا يتقرب إليه بإضاعة الحقوق التى عليك .

أبو الدرداء : أى حقوق أضعت ؟

سلمان : إن لربك عليك حقًّا، وإن لبدنك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذى حق حقه .

أبو الدرداء : هذا حق . وما أرانى إلا معطيًا كل ذى حق حقه .

سلمان : بل أضعت حق بدنك وحق أهلك .

أبو الدرداء : أفلهذا أقمت عندى هذه الأيام ؟

سلمان : أجل لأحملك على البر وأسير بك فى الجادة .

أبو الدرداء : هذا رأيك يا سلمان وأنا أرى خلاف رأيك .

سلمان : هلم إذن نحتكم إلى النبى صلى الله عليه وسلم لنرى أينا أهدى سبيلا .

أبو الدرداء : أنصفت يا سلمان فهلم .

٧

[فى بيت سلمان . أم الدرداء تزور أميمة فى هندام حسن]

أميمة : أهلا أهلا بك يا أم الدرداء . أراك اليوم على خير حال .

أم الدرداء : جزاك الله صالحة يا أختاه وجزى سلمان خيراً .
لقد صار أبو الدرداء خلقاً آخر !

أميمة : حديث النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أصلحه !

أم الدرداء : أجل . . أصبح زوجى لا يكف عن ترديده فى كل حين .

أميمة : هلك المتنطعون .

أم الدرداء : لا تختصرى الحديث يا أم عبد الله . لقد قال صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء لما احتكم هو وسلمان إليه :
«لقد صدق سلمان .
سلمان أفقه منك يا أبا الدرداء . هلك المتنطعون !
هلك المتنطعون !» .

« ستار »

الأسير الكريم «خبيب بن عدي»

١

[فى بيت من بيوت سراة مكة]

[الصبى عامر يقبل مسرعاً إلى أمه الجالسة فى الحجرة]

عامر : (صوته قبل ظهوره فى الحجرة) يا أمّهْ . . يا أمّهْ .

جليلة : عامر . ما خطبك ؟

عامر : (يدخل لاهثًا) إن خالى عقبة قد جاء بأسير معه .

جليلة : أين يا عامر ؟

عامر : أدخله المربد فحبسه فيه . يقولون إنه من أصحاب محمد .

جليلة : من أصحاب محمد . . ما الذى جاء به إلى خالك ؟

عامر : لا أدرى . (ينظر إلى جهة الباب) ها هو ذا خالى عقبة فاسأليه .

(يدخل عقبة بن الحارث)

جليلة : من هذا الذى جئت به يا عقبة ؟

عقبة : هذا قاتل أبينا يا جليلة . قاتل الحارث ببدر .

جليلة : خبيب بن عدى ؟

عقبة : أجل . . إنك لتعرفين اسمه يا أخيّه .

جليلة : كيف لا وما من امرأة فى قريش أصيب لها أحد فى بدر

إلا اجتهدت أن تعرف اسم قاتله فحفظته عسى أن تنتقم يومًا منه .

عقبة : فها هو ذا قد جئت به إليك فانتقمى منه وعذبيه .

جليلة : أى والله لأشفين وحَر صدرى منه . أمكنى منه يا عقبة فلأقطعنه بهذا المِشْقَص فلذة فلذة .

عقبة : كلا يا أختاه لا يحل لنا قتله الآن حتى تنقضى الأشهر الحرم . ولكن عذبيه عذابًا لا يقضى عليه .

جليلة : كأنك جئت به لتحبسه عندنا حتى ينقضى هذا الشهر شهر المحرم .

عقبة : هو ذاك .

جليلة : خير . سيتاح لنا بذلك أن نَفْتَنّ فى تعذيبه .

عقبة : أجل . . افتنّى فى تعذيبه ما شئت . أريني براعتك يا جليلة ووفاءك لأبيك .

جليلة : ثق يا أخى أنى سأريه الويل أفانين . ولكن كيف تمكنت منه يا عقبة ؟

عقبة : كان محمد قد بعثه فيمن بعث إلى بنى هذيل ليعلموهم الإسلام فوثب بهم الهذليون وباعوهم إلينا .

جليلة : واشتريته أنت منهم ؟

عقبة : بخمسين من الإبل .

جليلة : خمسين من الإبل ؟ !

عقبة : استكثرتها ؟ والله لو طلبوا به مائة بعير لأعطيت . إنه دم أبينا الحارث يا جليلة .

جليلة : صدقت كل مال يشترى به دم أبينا فهو قليل .

عقبة : هاتى له شيئًا من الطعام يا جليلة .

جليلة : تريد أن تطعمه ؟ أتطعم قاتل أبينا يا عقبة ؟

عقبة : لابد من إطعامه حتى لا يموت قبل أن ننزل به العقاب الأشد . قد اتفقت أنا وصفوان بن أمية على ذلك .

جليلة : وما شأن صفوان بن أمية ؟

عقبة : إنه هو أيضًا اشترى منهم قاتل أبيه لينتقم منه .

جليلة : قاتل أمية بن خلف ؟

عقبة : نعم .

جليلة : وما اسم هذا القاتل ؟

عقبة : زيد بن الدَّثِنَة .

جليلة : دفع فيه صفوان خمسين من الإبل ؟

عقبة : نعم .

جليلة : إذن والله ليُثْرِينَّ الهذليون من ذلك .

عقبة : (يضحك) أجل . . ليتركُنَّ تجارة الأنعام . ويتجرُنَّ فى أتباع محمد ! (يخرج)

جليلة : (لابنها الصبى) انزل بنا يا عامر إلى هذا الأسير لنضربه ونعذبه . خذ تلك العصا معك .

عامر : لكن يا أمه . .

جليلة : أليس برجليه القيد ؟

عامر : بلى يا أمه .

جليلة : فأى شىء تخشى منه ؟

عامر : لست أخشى شيئاً منه ولكنه لا يستحق الضرب . إنه رجل طيب .

جليلة : ويلك هذا قاتل جدك الحارث يا لكع .

عامر : ما أحسب مثل هذا الرجل يقتل أحداً يا أماه . لقد نظرت إليه من الباب فلما رآنى حيانى وابتسم .

جليلة : اسكت . لو سمعك خالك عقبة تقول هذا لأدبك فأوجعك . هيا خذ تلك العصا وانزل معى إلى المربد .

(يأخذ عامر العصا وهو كاره ويخرج خلف والدته)

٢

[فى المربد . . مكان ضيق مظلم له باب محكم]

[خبيب جالس على الأرض وفى رجليه القيد الثقيل وجليلة وابنها عامر يضربانه بالعصى]

خبيب : (يردد كلما ضرب ضربة) الحمد لله . . الحمد لله .

جليلة : (فى غيظ) ويلك . تُضْرَب وتقول الحمد لله . أهكذا أمركم صاحبكم محمد ؟

خبيب : أجل يا أخت بنى الحارث . إن نبينا صلى الله عليه وسلم أوصانا بالصبر على ما نلقى فى ديننا من مكروه .

جليلة : فدعه الآن ينفعك .

خبيب : إنه قد نفعنا وسينفعنا دائمًا يا أخت بنى الحارث .

جليلة : كيف ويلك ؟

خبيب : لقد وعدنا أن من يقتل منا فى سبيل الله فله الجنة .

جليلة : هيهات ما وعدكم إلا غروراً .

خبيب : يا أخت بنى الحارث لو قد سمعت من محمد كما سمعنا ما قلت هذا . أتحبين أن أسمعك شيئًا مما جاء به من عند الله ؟

جليلة : (تضربه) كلا لا أريد أن أسمع شيئًا .

خبيب : إذن يفوتك خير كثير .

جليلة : اسكت . والله لأضربنك حتى تكفر بصاحبك .

خبيب : هيهات . إنك لن تجنى من ضربى غير أن تكل يدك .

جليلة : (تضربه بقوة) اضرب يا عامر .

خبيب : وتكل يد صبيك هذا .

جليلة : لا شأن لك . اضرب يا عامر .

عامر : هأنذا أضربه يا أمه . (يضربه على كره) .

جليلة : اضربه بشدة . . بكل قوتك . (تمضى فى ضربه) .

خبيب : الحمد لله . الحمد لله . الحمد لله . .

جليلة : امسك عن هذا القول ويلك !

خبيب : لو أمسكت عنه لأوجعنى ضربك . إنه هو الذى يدرأ عنى الوجع . ما بالك وقفت عن الضرب ؟ أو قد كلت يدك ؟ أريحيها قليلا ثم عاودى ما أنت فيه .

جليلة : (فى غيظ) الساعة يأتى عقبة أخى فيضربك ويوجعك .

خبيب : أجل يا أم عامر . دعى أخاك يفعل ذلك فهو أقوى منك ومن هذا الصبى الذى دفعته إلى ضربى فأرهقته .

جليلة : (فى غيظ) إنى أعرف كيف أبلغ مأربى منك .

خبيب : أتريدين أن تعذبينى بعد ؟

جليلة : نعم .

خبيب : لكنى أشفق عليك وعلى صبيك .

جليلة : لن أضربك بالعصا .

خبيب : أبالسيف ؟ إذن تطلقى سراحى يا أخت بنى عامر .

جليلة : أطلق سراحك ؟

خبيب : وترسلينى إلى الجنة .

جليلة : كلا سأترك قتلك لأخى عقبة ورجاله ولكنى سأجيعك . سأجعلك تتلوى من الجوع .

خبيب : تمنعين عنى الطعام ؟

جليلة : والشراب .

عامر : لا حق لك يا أماه .

جليلة : اسكت أنت ، لا شأن لك .

عامر : إن خالى عقبة قد أمرك أن تطعميه .

جليلة : قلت لك اسكت .

عامر : إنه سيغضب منك إن فعلت .

جليلة : (نافدة الصبر) أتسكت يا هذا أم . . . ؟

خبيب : دعها تفعل ما بدالها يا بنى .

عامر : كلا إن خالى عقبة لا يريدك أن تموت .

خبيب : يريد أن يقتلنى بعدما تنقضى الأشهر الحرم ؟

عامر : نعم . كأنما كنت تسمع حديثه معنا .

خبيب : طب نفساً يا بنى . إن منعت أمك عنى الطعام والشراب فسيطعمنى ربى ويسقينى .

جليلة : أجل أرنا كيف يطعمك ربك ويسقيك .

خبيب : هل تؤمنين به إن فعل ؟

جليلة : كلا لن أؤمن بربك أبداً .

خبيب : ولو أطعمنى وسقانى ؟

جليلة : ولو أطعمك وسقاك .

خبيب : وأنت يا بنى ؟

جليلة : (تنهره) دع عنك الصبى ويلك . لا تحاول أن تخرجه من دين آبائه إلى دينك . هلم يا عامر . (تأخذ بيده

فتجره حتى تخرج به معها من المربد وهو كاره إذ كان مأخوذاً بالأسير يريد أن يبقى عنده بعد) .

٣

عامر : (يجيء إلى المربد متلصصاً ويدخل رأسه من الباب)
هل لى أن أدخل عندك أيها الأسير ؟

خبيب : (فى حنان) عامر . ادخل يابنى .

عامر : ولا تؤذينى أو تبطش بى ؟

خبيب : معاذ الله يا بنى . إنى لأعلم أن أمك هى التى دفعتك إلى ضربى وأنت كاره .

عامر : أجل إنها هى التى أكرهتنى . وقد قلت لها إنك رجل طيب فلم تصدقنى . خبرنى . أحقاً قتلت أنت جدى الحارث بن عامر ؟

خبيب : نعم يا بنى . جدك أراد قتلى فقتلته .

عامر : وكنت تعرف أنه جدى ؟

خبيب : لا يا بنى . ما كنت أعرف أنه جدك .
(يدخل عامر حتى يقف قريباً من خبيب)

عامر : ما دمت لا تعرف أنه جدى فليس بينى وبينك شىء .

خبيب : أجل ليس بينى وبينك غير المودة والمعروف .

عامر : أنت تحبنى ؟

حبيب : أيْ والله يا عامر .

عامر : (يقدم له قعبًا من اللبن كان يخفيه تحت ثيابه) خذ فاشرب .

خبيب : لبن ؟

عامر : نعم . اشربه قبل أن يأتى أحد .

خبيب : من أين جئت به ؟

عامر : حلبته من الشاة التى عندنا .

خبيب : وأمك تعلم ؟

عامر : لا .

خبيب : لا حاجة لى به إذن .

عامر : لماذا ؟

خبيب : لا أريد أن تضربك أمك .

عامر : أنّى لها أن تعلم ؟

خبيب : ستحلب الشاة فتعرف .

عامر : سأقول لها إنى شربت اللبن .

خبيب : لن تصدقك يا عامر وستسألنى .

عامر : إن سألتك فقل لها إنى ما جئتك بشىء .

خبيب : كلا لأخبرنها بالحقيقة إن سألتنى .

عامر : أنت إذن لا تحبنى .

خبيب : بلى يا عامر ولكن لا ينبغى أن تسرق ثم تكذب .

عامر : لكنك جوعان ولا أستطيع أن أدعك جوعان .

خبيب : كلا يا بنى ما أنا بجوعان .

عا ر : لك اليوم ثلاثة أيام لم تذق شيئًا .

خبيب : إن الله يطعمنى ويسقينى يا عامر .

عامر : بَلْ أنت تتجلد على الجوع والعطش كما تجلدت على الضرب .

خبيب : أتحب يا بنى أن أشرب هذا اللبن ؟

عامر : نعم . . اشربه من أجلى . أرجوك .

خبيب : اذهب إلى أمك أولا فاستأذنها .

عامر : كلا لن تأذن لى أبداً وستضربنى .

(يسمع حس قادم فيخفى عامر القعب) .

(تدخل جليلة) .

جليلة : ماذا تصنع هنا يا عامر ؟

عامر : لاشىء يا أمى . كنت أنظر إليه كيف يتلوى من الجوع .

جليلة : أرنى ما هذا الذى تخفيه تحت ثيابك ؟ قعبًا من اللبن ؟ إذن فأنت تطعمه كل يوم يا لكع .

عامر : كلا يا أماه . إنه ما رضى أن يأخذ منى شيئًا .

جليلة : لأوجعنك ضربًا يا شقى . أعطنى القعب .

عامر : مريه يا أمى أن يشربه فقد أبى أن يقبله منى إلا بعد أن أستأذنك .

جليلة : أعطنى القعب .

عامر : (يناولها القعب) أعطيه أنتِ القعب فسيقبله منك .

جليلة : (تريق اللبن فى الأرض) الأرض أولى بهذا اللبن منه .

عامر : ما أقسى قلبك يا أماه .

جليلة : خبرنى يا هذا إلى متى تغرى ابنى هذا على السرقة من أجلك .

خبيب : سلى ابنك يخبرك .

عامر : كلا يا أمى أنا جئته باللبن من تلقاء نفسى . وقد رفض أن يقبله منى الإ بعد إذنك .

جليله : وعلّمته أن يتواطأ معك على الكذب ؟

عامر : بل نهانى هو يا أمى عن الكذب .

جليلة : لقد كشفت اليوم خديعتك . استحوذت على عقل الصبى فجعلته يختلس لك الطعام كل يوم لتقول لنا بعد ذلك إن الله يطعمك ويسقيك !

عامر : والله يا أمى ما أحضرت له شيئاً إلا هذا القعب اليوم وقد أبى أن يقبله .

جليلة : لا تحاول أن تخدعنى يا لكع . كيف إذن استطاع أن يبقى ثلاثة أيام بغير طعام دون أن يظهر عليه شىء من الإعياء ؟

خبيب : قلت لك يا هذه إن الله يطعمنى ويسقينى .

جليلة : التمس غيرى ليصدق هذا الهراء .

خبيب : هل تريدين برهانًا على ذلك ؟

جليلة : نعم أرنى البرهان .

خبيب : (يتوجه بالدعاء إلى السماء فى خشوع ثم يقول) اللهم أرنا برهانًا من عندك يكون حجة لدينك ومصداقًا لنبيك .

عامر : (يصيح فى دهش) انظرى يا أماه .

خبيب : (يحمل فى يده قِطفًا من العنب) خذى يا أخت بنى عامر .

جليلة : ما هذا ؟

عامر : قِطْف من العنب !

جليلة : من أين جئت به ؟

خبيب : من عند الله .

جليلة : بل جاءك به هذا الصبى الشقى .

عامر : من أين لى به يا أماه ؟ وهل رأيت قط مثل هذا العنب فى مكة ؟

جليلة : صدقت . ما رأيت مثل هذا العنب الكبير قط . إنه سحر يا بنى .

خبيب : خذيه فكلى منه .

جليلة : كلا لا أريد أن تسحرنى .

خبيب : خذ يا عامر .

جليلة : (تجذب يد الصبى) كلا إنه يريد أن يسحرك يا بنى .
هلم بنا نبتعد عنه (تخرج به وهى تجره جرًّا) .

٤

[الصبى عامر يعود متسللا إلى المحبس]

عامر : لا تؤاخذنى يا عم . ما استطعت أن أعود إليك أمس .

خبيب : أمك حبستك ؟

عامر : حبستنى وضربتنى .

خبيب : وتعود اليوم إلىّ ؟

عامر : إنى أحبك يا عم .

خبيب : وأنا أيضًا أحبك . ولكنى أخشى عليك من عقوبة أمك .

عامر : لا تخف . إنها خرجت لتزور آل عبد الدار ولن تعود إلا آخر النهار .

خبيب : أهلا بك وسهلا يا عامر . اقعد يا بنى .

عامر : (يقعد قريبًا من خبيب) أين العنب الذى كان معك ؟

خبيب : أكلته يا عامر .

عامر : كله ؟

خبيب : كله يا بنى .

عامر : كنت أشتهى أن أذوق منه .

خبيب : (يبتهل بالدعاء فإذا قطف من العنب فى يده) خذ يا بنى .

عامر : عجباً كيف جاء إليك ؟

خبيب : من عند الله . ربى يا عامر .

عامر : (يأكل من العنب) حلوجداً ياعم .ما ذقت مثله قط.

خبيب : كل يا بنى هنيئاً مريئاً .

عامر : (وهو يأكل) لكن هذا ليس موسم العنب فمن أين جاء به ربك ؟

خبيب : الله ربى على كل شىء قدير .

عامر : أهو رب محمد ؟

خبيب : أجل هو رب محمد . . ومحمد عبده ورسوله .

عامر : لكنى لا أحب محمداً يا عم .

خبيب : فيم يابنى ؟ إن محمداً لجدير أن تحبه .

عامر : يقولون إنه كفر بآلهتنا .

خبيب : لأنها آلهة باطلة وما ثَمَّ إلاّ إله واحد هو الله رب العالمين .

عامر : واللات والعزى ومناة وهبل .

خبيب : تلك أصنام صنعوها بأيديهم لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً .

عامر : لكن كيف تخلى عنك ربك . فتركك تقع فى أيدى المذلين ؟

خبيب : كلا ما تخلى عنى ربى ولكنه ابتلانى ليجزينى إن صبرت .

عامر : هل لك أن تحكى لى قصة الرجل الذى حمته الزنابير ؟

خبيب : أوقد سمعت أنت عنها ؟

عامر : سمعت طرفًا منها وأريدها كاملة منك ألست كنت معه ؟

خبيب : بلى يا بنى . ذاك رئيسنا عاصم بن ثابت . مازال يقاتل بنى هذيل الذين غدروا بنا حتى قُتل . فأرادوا أن يحتزوا رأسه ليقدموه لامرأة فى مكة كان قد قَتَل لها ابنين فى بدر فجعلت لمن يأتيها برأسه مائة ناقة .

عامر : أنا أعرفها يا عم . أعرف تلك المرأة . هى سلافة من آل عبد الدار التى ذهبت أمى تزورها اليوم .

(يسمع حس قادمين فيخرج الصبى منطلقًا وهو مذعور) .

(تدخل جليلة وعقبة ومعها سلافة وعبد لها يحمل رأس رجل) .

سلافة : أهذا هو أسيركم ؟

جليلة : نعم .

سلافة : أتعرف يا هذا رأسُ مَنْ هذا ؟

خبيب : لعنة الله على بنى هذيل .

سلافة : أتعرف رأس مَنْ هذا ؟

خبيب : نعم رأس أخى وحبيبى .

سلافة : من هو ؟

خبيب : رجل صالح من أصحاب محمد .

سلافة : ما اسمه ؟

خبيب : ومن تكونين ؟

جليلة : ويلك هذه سلافة عقيلة بنى عبد الدار .

خبيب : التى قتل ابناها فى بدر ؟

عقبة : نعم وهذا رأس قاتلهما . أتعرفه ؟

سلافة : عاصم بن ثابت ابن أبى الأقلح .

خبيب : كم دفعت للهذليين ثمناً له ؟

سلافة : مائة ناقة .

خبيب : أزعموا لك أنه رأس عاصم ؟

سلافة : نعم .

خبيب : فقد كذبوك وخدعوك . ليس هذا برأس عاصم .

سلافة : بل كذبت أنت .

خبيب : ما يحملنى على الكذب يا امرأة ؟

سلافة : بلغك أنى سأشرب فى جمجمته الخمر فأشفقت على صاحبك من ذلك .

خبيب : إنه لرأس أخ كريم آخر لا يقل حبى له عن حبى لعاصم .

سلافة : من هو ؟ ما اسمه ؟

خبيب : عبد الله بن طارق كان معنا حين نزلنا إلى هذيل على العهد . فلما آنس منهم الغدر امتنع عليهم فقتلوه .

سلافة : وعاصم أين رأس عاصم ؟

خبيب : ما يدريني ؟ سلى السيل الذى احتمله . لقد أبر الله قسمه إذ عاهد الله ألا يمس مشركًا ولا يمسه مشرك .

سلافة : ماذا ترى يا عقبة ؟ أتظنه صادقًا فيما زعم ؟

عقبة : ما أره إلا قد صدق .

سلافة : تبًّا لبنى هذيل . والله لأستردن منهم ما أخذوه .

عقبة : كيف يا سلافة ؟ سيزعمون لك أنه رأس عاصم .

سلافة : سأحتج عليهم بشهادة أسيرك هذا . وهو صاحبه وزميله .

عقبة : إنهم ذوو ألسنة حداد فسيكذبون شهادته عليهم بحجة أنه عدو لهم وهم له عدو .

سلافة : عجبًا أراك تدافع عنهم يا عقبة .

عقبة : كلا يا سلافة ولكنى لا أحب لك أن يأخذوا مالك ثم يسلقوك بألسنتهم ولن تجنى من دعواك غير العناء .

سلافة : أأتركهم وقد خدعونى وأعطونى غير الرأس الذى أريد ؟

عقبة : لو كان لهم سبيل إلى رأس عاصم لما ضنوا به عليك فليس بأثمن عندهم من هذا الرأس الذى أعطوك .

سلافة : قد كان عليهم أن يخبرونى بحقيقة الأمر .

عقبة : ما كنت لتعطيهم الجعل لو فعلوا .

سلافة : كيف يأخذون منى جُعْلا لا يستحقونه ؟

عقبة : إن لم يكن رأس عاصم فهو رأس واحد من رفاق عاصم ، وكلاهما من أصحاب محمد وهم جميعاً لنا عدو .

سلافة : لكنى أريد رأس قاتل ولدىّ مسافع وجلاس .

عقبة : لتشربى فى قحفه الخمر ؟

سلافة : أجل لقد نذرت ذلك .

عقبة : فاشربى فى قحف هذا الرأس الذى عندك . فما كان صاحبه ليعف عن قتل ولديك مسافع وجلاس لو كانا بإزائه ساعة القتال فى بدر .

سلافة : كلا لا أستطيع أن أحمل نفسى على الشرب فى جمجمة أحد غير عاصم . إنى أتقزز من ذلك ولا ينفى عنى التقزز غير شعورى بالانتقام من قاتل ولدىّ .

عقبة : ألا يسرك يا سلافة أن تنتقمى من أصحاب محمد جميعاً ؟

سلافة : بلى ؟

عقبة : فاجعلى هذا الرأس كل ليلة لواحد منهم حتى تشر. فى قحوفهم جميعاً .

٥

[عقبة يستقبل صفوان بن أمية وصفوان يقود زيد بن الدثنة وهو مغلول مقيد] .

عقبة : مرحبًا بك ياصفوان بن أمية . ماذا جاء بأسيرك معك ؟

صفوان : أريد أن أعرضه على أسيرك لأستيقن أنه زيد بن الدثنة .

عقبة : أشككت فيه أنت أيضًا .

صفوان : أجل . لا أثق بالهذليين بعد الذى فعلوه مع سلافة .

عقبة : وماذا يقول الأسير نفسه ؟ أينكر أنه زيد بن الدثنة ؟

صفوان : لا ينكر ولا يثبت . وإنما يردد . سبحان الله والحمد لله .

عقبة : إن أمر هؤلاء لعجبب . هلم بنا إلى المربد .

٦

[فى المربد . عقبة وصفوان وزيد بن الدثنة يقفون أمام خبيب]

زيد : (ينظر إلى خبيب) سبحان الله والحمد لله .

خبيب : سبحان الله والحمد لله .

زيد : إن هذا المشرك . (يشير إلى صفوان) يريد أن يتأكد هل باعه الهذليون قاتل أبيه أم باعوه غيره ؟

خبيب : وماذا قلت له أنت ؟

زيد : لم أشأ . أن أجيبه بلا أو نعم . وإنما كنت أسبح الله وأحمده .

خبيب : وما حملك على ذلك يا أخى ؟

زيد : لأزيده غيظًا ليعجّل بقتلى فألقى رفاقى الذين استشهدوا قبلى فى الجنة .

خبيب : يرحمك الله يا أخى أما أنه لن يقتلك حتّى يعلم أنك زيد بن الدثنة قاتل أبيه أمية بن حلف .

زيد : (لصفوان) فاعلم يا هذا أنى زيد بن الدثنة الذى قتل أباك فى بدر فأرساله إلى النار .

عقبة : ها هو ذا قد اعترف لك .

صفوان : لكنى غير مطمئن إلى قوله الآن .

عقبة : كيف ؟

صفوان : لقد كنت أظنه يأبى الإفصاح خشية أن يقتل ، فإذا هو يأبى الإفصاح ليغيظنى فأعجل بقتله .

عقبة : فما يمنعك الآن من قتله .

صفوان : ما يدرينى لعله إنما زعم أنه زيد بن الدثنة لأعجل بقتله .

زيد : فألقى برفاقى الذين استشهدوا من قبلى فى الجنة .

صفوان : أسمعت ؟ إنه زعم زعمًا وهو كاذب فيما زعم .

زيد : كلا يا هذا إنا نحن معشر المسلمين لا نكذب ولا ينبغى لنا أن نكذب .

خبيب : إنما يكذب من يخاف ونحن لا نخاف أحداً إلا الله وحده .

صفوان : أتشهد يا هذا أنه زيد بن الدثنة ؟

خبيب : كما أشهد أنى خبيب بن عدى .

زيد : هأنتذا قد سمعت شهادتى فهلم عجل بقتلى فإنى فى شوق إلى الجنة .

صفوان : كلا ما يدرينى لعله متواطئ معك .

زيد : فافعل إذن ما بدالك .

عقبة : ماذا أنت فاعل ياصفوان ؟

صفوان : والله لا أدرى ماذا أفعل . وددت لو أعلم يقينًا أنه قاتل أمية بن خلف .

زيد : هل تحب أن أصفه لك ؟

عقبة : أجل دعه يصف لك أباك فإن أصاب نعته أيقنت أنه هو الذى قتله .

زيد : إنى لأتمثله الآن أمامى . إذ أقبل نحوى يتعرج فى مشيته كأن إحدى رجليه أقصر من الأخرى .

عقبة : أما والله لقد صدق !

صفوان : على رسلك يا عقبة . (لزيد) صف لى ياهذا وجهه .

زيد : (يحدق فى وجه صفوان) . . . . . . ؟

صفوان : ويلك ما بالك تنظر هكذا إلىّ ؟

زيد : لأرى هل فيك مشابه منه ؟

صفوان : هيه . . .

زيد : ما رأيت ابنـًا أقل شبهـًا بأبيه منك بأمية بن خلف . كان أحمر وأنت أبيض . وكان معقوف الأنف وأنت أقنى . وكان قصير العنق ضيق ما بين المنكبين ، وأنت طويل العنق واسع ما بين المنكبين .

صفوان : حسبك . حسبك . الآن طابت نفسى . لأقتلنك اليوم أشنع قتلة .

زيد : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

(صدق الله العظيم)

٧

[الصبي عامر عند خبيب فى المربد]

عامر : لكن ما قصة الزنابير ؟ أحقـًا كانت كبيرة جدًّا كل واحد منها فى حجم الحدأة ؟

خبيب : لا تصدقهم . إنها زنابير فى الحجم المعتاد طفقت تذب عن جسد عاصم وتلسع كل من يقترب منه إلى أن جاء السيل فاحتمله وذهب به حيث أراد الله .

عامر : يقولون إنه ساحر .

خبيب : لا تصدقهم يا عامر . بل هو رجل مؤمن شجاع دعا ربه دعوة فاستجابها له .

عامر : ماذا دعا ؟

خبيب : كان قد قاتلهم طول النهار فلما أيقن بالموت وخشى أن يمثلوا بجثته دعا ربه فقال : اللهم إنى حميت دينك صدرَ النهار فاحم جسدى آخِرَه .

عامر : ما دام ربه يستجيب له فلماذا لم يَدْعُهُ أن ينقذه من القتل ؟

خبيب : إنه آثر أن يموت شهيداً فى سبيل الله ليدخله الله الجنة .

عامر : خبرنى ماذا فى الجنة يا عم ؟

خبيب : فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر .

عامر : هل أستطيع أنا أن أدخلها ؟

خبيب : نعم إذا آمنت بالله ورسوله وعملت عملا صالحًا .

عامر : (بعد صمت يسير) اسمع يا عم . . ليس فى البيت أحد فهل لك فى شىء أحضره لك ؟

خبيب : نعم أحضر لى موسى يا بنى .

عامر : موسى . . ماذا تصنع بها ؟

خبيب : إنهم سيقتلوننى غداً فأريد أن أستحد بها وأتطهر حتى ألقى ربى وأنا فى هيئة حسنة .

عامر : وأين تلقى ربك ؟

خبيب : فى الجنة إن شاء الله .

عامر : انتظر قليلا . . سأحضرها لك . (يخرج) .

٨

[نفس المنظر السابق خبيب يسوى شعر لحيته وشاربه بموسى فى يده . وبجانبه عامر يصغى إلى قصة يقصها عليه]

عامر : أجميل هو ؟

خبيب : جميل جداً وطيب جداً وشجاع جداً . آه لو رأيته صلى الله عليه وسلم . لأحببته يا عامر ولو رآك هو لأحبك .

(يسمع صوت جارية من الخارج وهى تصيح فى رعب)

الصوت : سيدتى . . سيدتى . . ابنك عامر قاعد عند الأسير وفى يده شفرة ماضية .

جليلة : (صوتها) فى يد من ؟

الجارية : (صوتها) فى يد الرجل .

جليلة : (صوتها) يا ويلتا سيثكلنى الولد كما أثكلنى الوالد .

انطلقى إلى سيدك عقبة فادعيه . (تدخل جليلة وهى مرعوبة) .

جليلة : ويلك ماذا تصنع بولدى ؟

خبيب : (يجذب عامراً إليه) قد أمكننى الله منكم مرة أخرى يا أخت بنى الحارث .

جليلة : كلا لا تفعل . حنانك إنه صبى صغير وليس لى غيره . أليس فى قلبك رحمة ؟

عامر : لا تخافى يا أمه . إنه إنما يمزح معك . إنه يحبنى يا أماه . يحبنى جداً . ولا يمكن أن يمسنى بسوء .

جليلة : هذا الذى كنت أخشاه . لقد طفق يتودد إليك ويلاطفك لتطمئن إليه وتقع فى قبضته فينقض عليك .

عامر : ينقض علىّ ؟

جليلة : كما فعل الساعة .

عامر : ماذا فعل يا أماه ؟ إنه لم يفعل شيئاً .

جليلة : ويلك أنت الآن فى قبضته . إن شاء جرحك وإن شاء ذبحك وشرب من دمك .

عامر : (يقهقه ضاحكا) . . . .

جليلة : وتضحك بعد يا لكع ؟

عامر : إنما أضحكنى تفجعك يا أماه فى غير شىء .

جليلة : يا أعمى ألا ترى الحديدة تلمع فى يده ؟

عامر : (ماضياً فى ضحكه) أنا الذى أحضرتها له يا أماه .

جليلة : ليذبحك بها ؟

عامر : بل ليصلح بها من حاله ويتجمل حتى يلقى ربه وهو فى هيئة حسنة . إنه سيلقى ربه فى الجنة يا أماه .

جليلة : ياويلتا أو قد صدقت كلامه وآمنت بما يقول ؟

عامر : صه . لا يسمعك خالى عقبة فها هو ذا قد أقبل .

(يدخل عقبة فزعاً) .

جليلة : أدركنى يا عقبة . أدركنى .

عقبة : ما الخطب ياجليلة ؟

جليلة : ألا ترى بعينك ؟ الصبى فى قبضته وفى يده الشفرة الماضية .

عقبة : ويل لك يا هذا أو قد أمرك محمد أن تذبح أطفال الناس ؟

خبيب : كذبت وخسئت . إن محمداً لنبى الهدى والرحمة وإنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق .

عقبة : فما بالك تمسك هذا الطفل وفى يدك الموسى ؟

خبيب : لأريكم أننى قادر عليه لو شئت ولكن دينى ينهانى عن ذلك وما كنت لأقتله ولو لم ينهنى دينى . اذهب يا بنى إلى أمك .

عامر : لا . . حتى أسمع بقية القصة .

جليلة : ويلك تعال يا شقى .

عامر : (ينظر إلى خاله فيرى الغضب الشديد فى وجهه) إنى خائف يا أماه .

جليلة : مِمَّ يا لكع ؟

عامر : من خالى عقبة .

جليلة : ويلك إنما جاء خالك لينقذك من شر هذا الغريب .

عامر : كلا بل ليضربنى ويعزرنى . إنى أرى الغضب فى وجهه . انظرى إلى وجهه .

جليلة : إنما غضبه من هذا الغريب لا منك أنت .

عامر : بل منى أنا . أنا أعرف به منك .

جليلة : قل له يا عقبة إنك لن تضربه ولن تعاقبه .

عقبة : هلم يا عامر . فإنى لن أضربك .

جليلة : ها هو ذا قد أمنك .

عامر : كلا يا أمى حتى يحلف .

جليلة : احلف يا عقبة .

عقبة : (كاظماً غيظه وهو يتميز) والله لا أضربك ولا ترى منى إلا ما تحب . (يدنو الصبى من أمه فتحتضنه فى فرح وهى لا تكاد تصدق أنه حى بعد) .

٩

[عامر وجليلة يدخلان المربد كالمتسللين]

جليلة : انظر يا عامر لعل الجارية هناك تتنصت .

عامر : (يخرج منطلقاً ثم يعود) . . لا يا أماه لم تعد بعد من مشوارها .

خبيب : خيراً يا عامر ويا أم عامر . هل من حاجة فأقضيها لكما قبل أن يسوقونى إلى العراء ليقتلونى خارج الحرم ؟

عامر : نعم يا عم . . نريد منك أن تهرب من هنا فتنجو من أيديهم .

خبيب : وهذا القيد ؟

عامر : سنفكه عنك .

خبيب : (يبتسم ضاحكاً من قوله) أتسمعين يا أم عامر ماذا يقول ابنك ؟

عامر : إنى أتحدث عنها كما أتحدث عن نفسى .

خبيب : أحقاً ما يقول يا أم عامر ؟

جليلة : نعم وذلك قليل فى حقك يا خبيب .

عامر : فلنسرع يا أماه قبل أن يأتى أحد . أعطينى مفتاح القيد .

جليلة : (تعطيه المفتاح) خذ يا بنى .

خبيب : على رسلكما . أتعلمان ماذا أنتما صانعان ؟

جليلة : تخشى علينا من عقبة أخى ؟

خبيب : نعم .

عامر : سأزعم له أننى أنا الذى أطلقت سراحك ولا شأن لأمى بذلك .

خبيب : لكن المفتاح مع أملك .

عامر : سأزعم له أننى سرقت منها المفتاح .

خبيب : لكنى أخشى عليك أنت العقوبة .

عامر : سأتحملها يا عم من أجلك .

جليلة : إن هى إلا بضعة أسواط ستؤلمه يوماً أو يومين ثم يزول الألم .

خبيب : كلا يا أم عامر إنهم لن يصدقوا هذه الدعوى وسيلقون عليك التبعة .

جليلة : لا شأن لك بأخى عقبة . إنى أعرف كيف أقنعه .

خبيب : إن قدرت على أخيك فلن تقدرى على أهل مكة جميعاً فقد تواعدوا على الخروج غداً إلى التنعيم ليشهدوا قتلى هناك .

(يجهش عامر بالبكاء) .

جليلة : انظر . إن عامراً يبكى عليك . ألا ترحم دمعه ؟

خبيب : لا بأس . عما قليل سيرقأ دمعه .

جليلة : افعل ذلك من أجلى يا خبيب فإنى قد آمنت بدينك .

خبيب : (فرحًا) أحقًّا يا أختاه ؟

جليلة : أى والله .

عامر : (يمسح الدمع عن عينيه) وأنا آمنت به قبلها .

خبيب : بوركت يا عامر وبوركت أمك . قولا الآن . أشهد أن لا إله إلا الله .

الاثنان : أشهد أن لا إله إلا الله .

خبيب : وأشهد أن محمداً رسول الله .

الاثنان : وأشهد أن محمداً رسول الله .

خبيب : (فرحًا يتطلق بشراً) الحمد لله أنتما الآن مسلمان .

جليلة : فدعنا نطلق سراحك ليصح إسلامنا .

خبيب : قد صح إسلامكما يا أختاه ولا حاجة إلى الإلقاء بأيديكما إلى ما تكرهان ، انصرفا الآن قبل أن يجيء أحد فيرى منكما ما يريبه .

(يخرجان وهما فى أسى شديد) .

١٠

[فى العراء خارج مكة وقد نصبت خشبة من جذوع النخل ليصلبوا خبيبًا عليها فى نشز مرتفع من الأرض . خبيب يسوقه عقبة واثنان آخران وخلفهم جليلة وعامر الصبي . ومن خارج المشهد تسمع أصوات الجمهور

من الخلق الذين خرجوا ليشهدوا صلب خبيب وقتله] .

خبيب : إن كنتم تريدون قتلى الساعة فدعونى أصلى ركعتين قبل أن تقتلونى .

أصوات : كلا لا تجيبوه إلى طلبه . اقتله يا عقبة . اقتله يا عقبة .

جليلة : مهلا يا عقبة . أجب هذا الرجل إلى طلبه . فمن حقه أن يجاب . (همهمة استنكار من الجمع) .

عقبة : ما خطبك يا أم عامر .

جليلة : إن له يداً عندى ياعقبة . كان فى وسعه أن يقتل عامراً ابنى فلم يفعل .

عامر : أجل يا خالى أجبه إلى طلبه .

عقبة : صل يا هذا ما شئت وأسرع .

خبيب : (يكبر للصلاة) الله أكبر . .

١١

خبيب : (يسلم من صلاته) السلام عليكم ورحمة الله . السلام عليكم ورحمة الله . (ينهض قائما) .

والله لولا أن تحسبوا أن مابى من جزع لزدت . . هيا اقتلونى الساعة .

عقبة : هلم ارق هذه الخشبة .

خبيب : ويلكم أتريدون أن تصلبونى ؟

عقبة : نعم . . هل جزعت ؟

خبيب : يا هذا إن المسلم لا يجزع من الشهادة .

(عقبة وصاحباه يشدونه إلى الخشبة بالحبال) .

خبيب : الحمد لله . . الحمد لله . . (يهم عقبة بقتله) .

أصوات : مهلاً يا عقبة . دعنا نسأله أولا . . أتحب يا هذا أن محمداً مكانك ؟

خبيب : لا والله ما أحب أن يؤذى محمد بشوكة فى قدمه .

أصوات : ارجع عن الإسلام لنخلى سبيلك ولا نقتلك .

خبيب : ساء ما قلتم يا جند الباطل . (يدعو) اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً . . ولا تُبقِ منهم أحداً .

عقبة : سمعتم ما يقول كيف يدعو عليكم ؟ إنى لن أقتله وحدى . . .هلموا كل من بيده رمح فليطعنه معى .

أصوات : أجل دعونا نتعاوره برماحنا من كل جانب .

خبيب : اللهم إنه ليس هنا أحد يبلّغ رسولك عنى السلام فبلغه أنت عنى السلام .

[تسمع حركة الرماح وهى تندق فى خبيب فنرى الصبى وأمه يشيحان بوجهيهما عن المنظر . وهما يذرفان الدمع وصوت خبيب من خلال الضوضاء والأصوات يقول : بلغه أنت يا ربى عنى السلام . . .]

« ستار »

زوجتان صالحتان

١

[فى بيت أم حكيم وعندها ابنة عمها الفاختة]

م حكيم : إياك يا بنت عمى أن تتبعيه حتى يشهد أولا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

اختة : لعلى إن تبعته أن أعطف قلبه إلى الإسلام .

م حكيم : كلا يا فاختة إنك إن تبعتيه فسيحاول هو أن يفتنك عن دينك .

فاختة : معاذ الله أن أفتن عن دينى ولو انطبقت السماء على الأرض .

أم حكيم : فالرأى إذن أن تصرى على موقفك منه حتى يفىء إلى الحق ويدخل فيما دخل فيه الناس من دين الله .

فاختة : أخوف ما أخافه أن يرتحل عن البلد كما فعل عكرمة زوجك فلا يرجى له أن يفىء إلى الحق .

أم حكيم : ماذا يحمل صفوان على ذلك ؟ إن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينذر دمه كما نذر دم عكرمة .

(يدخل صفوان بن أمية دون استئذان)

أم حكيم : ماذا جاء بك يا صفوان ؟

صفوان : عجباً يا أم حكيم أهكذا تحيين زوج ابنة عمك ؟

أم حكيم : ما عدت زوجًا لها يا صفوان . إن الإسلام قد حال بينها وبينك .

صفوان : هبيني زائراً أفهكذا تحيين الزائر فى بيتك ؟

أم حكيم : كلا ما أنت بزائر فنكرمك وإنما أنت شيطان تريد أن تحملها على الكفر بعد أن أكرمها الله بالإسلام .

صفوان : هل يجمل بك يا فاختة أن تدعى بنت عمك هذه تتطاول على ؟

أم حكيم : وما أنت يا صفوان بن أمية ؟

صفوان : أنا من المطعمين فى قريش إن كنت تجهلين .

أم حكيم : قد أبطل الله مآثر الجاهلية وأذل كبرياءها فإن كنت تروم شرفًا فدونك الإسلام .

صفوان : ألا تتكلمين أنت يا فاختة فتسكتى بنت عمك ؟

أم حكيم : إنها لن تكلمك أبداً .

صفوان : فاختة !

أم حكيم : لقد أقسمت بالله لا تكلمك أبداً حتى تؤمن بالله ورسوله .

صفوان : أحقًا يافاختة ؟

فاختة : (تومئ برأسها أن نعم دون كلام) . . . ؟

أم حكيم : ألم أقل لك ؟

صفوان : (محتداً) يا هذه هلا اهتممت بزوجك خيراً لك ؟

أليس عكرمة أحق منى بوعظك هذا وإرشادك ؟

أم حكيم : وأين عكرمة منى ويلك ؟

صفوان : (ساخراً) لعله نجا بنفسه خوفاً منك أن تفتنيه عن دين آبائه !

أم حكيم : (فى صرامة) صفوان . ليس من المروءة أن تقول هذا عن صاحبك إنك تعلم لماذا نجا عكرمة بنفسه وهرب .

صفوان : لأن محمداً نذر دمه فيمن نذر .

أم حكيم : فلتقل فى عكرمة خيراً أو فلتصمت فأنت تعلم أنه رجل كريم .

صفوان : إن كنت تحبينه بعد فقد كان عليك أن تتبعيه حيثما ذهب .

أم حكيم : لو أعلم أين توجه لاقتفيت أثره .

صفوان : إنه توجه صوب اليمن !

أم حكيم : وكيف عرفت ؟

صفوان : أنا الذى جهزته يا أم حكيم .

أم حكيم : والله لأذهبن الساعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليأذن لى فى اللحاق به .

صفوان : ويلك إن علم محمد بوجهته ليرسلن فى طلبه حتى يظفر به فيقتله .

أم حكيم : ياصفوان إن محمداً أكرم من ذلك .

صفوان : ليتني ما أخبرتك . لقد جنيت على صاحبي والله .

أم حكيم : قلت لك إن محمداً أكرم من ذلك .

صفوان : إن كنت تحبين زوجك حقـًّا فلا تعرضيه للهوان والقتل .

أم حكيم : قد استأمنت له من محمد فأمّنه .

صفوان : أمّنه ؟ أمّن عكرمة بن أبي جهل .

أم حكيم : أجل لو كان أبو جهل نفسه حيًّا اليوم والتمس الأمان من محمد لأمّنه ، (لفاختة) أنا ماضية يا فاختة (تتهيأ للخروج) .

فاختة : خذيني معك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صفوان : ابقي قليلا معي يا فاختة .

فاختة : (تهم بالكلام ثم تتذكر يمينها فتلتفت إلى أم حكيم) هيا بنا يا أم حكيم .

(تخرج أم حكيم وفاختة) .

صفوان : (يتمتم) إلا أن أمراً حال بيني وبين فاختة لأمر كبير .

٢

[في مكان ما على الطريق إلى اليمن] .

[أم حكيم تنظر في وجوه أهل قافلة أناخت بذلك المكان كأنها تبحث عن عكرمة]

أم حكيم : (تلمح وجه عكرمة) عكرمة !

عكرمة : (ينهض إليها) أم حكيم ! (ينتحى بها بعيداً عن بقية القوم) ماذا جاء بك إلى هذا المكان القصى ؟

أم حكيم : السعى إليك يا عكرمة . ويحك أتظن أنى أستطيع العيش بغيرك ؟

عكرمة : لا حق لك أن تتجشمى هذه المشقة من أجلى . . من أجل رجل قد نذر دمه فليس له إلا الهرب إلى أقصى البلاد .

أم حكيم : إلى اليمن ؟

عكرمة : كيف علمت ؟ من ذا أخبرك ؟

أم حكيم : أخبرنى الذى أخبرنى .

عكرمة : صفوان بن أمية ؟

أم حكيم : نعم .

عكرمة : تبـًّا له .

أم حكيم : بل تبـًّا لك أنت . هل يجمل بك يا بن عمى أن ترحل هذا الرحيل الذى ربما لا تؤوب منه أبداً بدون أن تودع زوجتك التى تحبك ؟

عكرمة : ما حيلتى يا بنت العم ؟ لقد استولى محمد على مكة ونذر دمى فيمن نذر فلم أشأ أن أشركك فى مصير كنت وحدى صاحب التبعة فيه .

أم حكيم : بل كنت شريكتك فى ذلك يا عكرمة . أنسيت أنى خرجت معك يوم أحُد ؟

عكرمة : ذاك يا بنت عمى يوم كان لنا الحول والقوة .

أم حكيم : تبًّا لك . أو قد هان عليك أن تفارقنى إلى غير لقاء ؟

عكرمة : لا ورب هذا البلد الذى استولى عليه محمد إن فراقك علىّ لشديد ولكن ماذا أصنع ؟ إنه قاتلى لو بقيت؛ والخيرٌ لى أن أعيش بعيداً عنك عسى أن ألقاك يوماً ما من أن أقتل بين يديك فتلبسى الحداد على .

أم حكيم : ويحك يا عكرمة ! ما كان ينبغى لك أن تيأس من عفو محمد فقد عفا عن كثير ممن كانوا أعداءه .

عكرمة : كلا ليس أحد منهم مثلى . لقد كنت أشد الناس أذية لمحمد وعداوة له وكان أبى عدوه الألد حتى لقبه محمد وأصحابه بأبى جهل .

أم حكيم : إنك ما زلت تنظر فى محمد رجلا من قريش انتصر على قومه فهو يعاقب من يشاء ويعفو عمن يشاء .

عكرمة : مهما يكن من شأنه فلا يعدو أن يكون كذلك .

أم حكيم : كلا يا عكرمة إنه نبى يوحى إليه وهدى للناس ورحمة .

عكرمة : قد علمت أنك صبأت يا أم حكيم .

أم حكيم : بل أسلمت وآمنت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومصطفاه .

عكرمة : فمن الخير ألا تصلى حبالك بحبال رجل لا يؤمن كما آمنت .

أم حكيم : ويلك يا بن عمى ألمثلى تقول هذا القول؟ ألم تكن تحبنى يا عكرمة ألم أكن أحبك ؟

عكرمة : بلى والله ومن أجل ذلك تركتك وما اخترت لنفسك من هذا الدين الجديد .

أم حكيم : لست والله أولى به منك يا عكرمة . أنت بما وهبت من عقل وحكمة أجدر أن تتبع الهدى وتدعونى أنا إليه . أنشدك الله يا بن عمى بما بيننا من مودة ورحمة ألم يلق فى روعك بَعْدُ ان محمداً على حق فيما دعا إليه وأنه يدعو إلى الخير والهدى والرشاد .

عكرمة : أما وقد حلّفتنى بأعز شىء عندى فوالله لأصدقنك الحديث . إنى لأعلم يا أم حكيم أن محمداً لكما وصفت.

أم حكيم : فما يمنعك أن تعلن ذلك له وتدخل فيما دخل فيه الناس ؟

عكرمة : بعدما أهدر دمى يا أم حكيم ؟

أم حكيم : أو هذا وحده هو الذى يمنعك ؟

عكرمة : نعم .

أم حكيم : فالحمد لله إذن . إنك عائد معى إلى محمد يا عكرمة .

عكرمة : ماذا تعنين ؟

أم حكيم : إنى جئتك يا بن عمى من عند أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس قد استأمنت لك منه .

عكرمة : ورضى أن يؤمننى ؟

أم حكيم : بل فرح يا عكرمة وتهلل وجهه .
عكرمة : إن يكن ما تقولين حقًّا فوالله ما يصدر هذا إلا عن نبي
أم حكيم : فهلم يا عكرمة نسرع بالعودة .

٣

[فى مكة . صفوان بن أمية وفاختة]

صفوان : أتدرين يا فاختة أن حبك فى قلبي قد زاد فصار أضعاف ما كان ؟

فاختة : بعدما هداك الله للإسلام ؟

صفوان : أجل .

فاختة : فلتحب محمداً صلى الله عليه وسلم خيراً منى يا صفوان .

صفوان : والله إنى لأحبه . لقد شهدت حُنيناً وما فى الأرض أبغض إلىّ من محمد وانصرفت من حنين وما فى الأرض أحب إلىّ منه .

فاختة : (ممازحة) لأنه أجزل لك العطاء من غنائم هوازن ؟

صفوان : لا والله يا فاختة . إن المال لا قيمة له عندى كما تعلمين ولكن ما شهدت من شجاعته وثباته لما حمى الوطيس وانهزم عنه الناس فبقى وحده فى نفر قليل وهو يقول فى صوت قوى مطمئن : إلىّ أيها الناس ! إلىّ أيها الناس ! أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . حتى

فاء المسلمون إليه فكرّوا على المشركين . حينئذ أيقنت يا فاختة أنه نبي مرسل من عند الله .

فاختة : الحمد لله يا صفوان إذ جمعنا على الهدى والحق .

صفوان : لولاك يا فاختة لما قدر لى أن أشهد حنيناً ولما خالط قلبى الإسلام فأنت يا حبيبتى صاحبة الفضل .

فاختة : بل الفضل لأم حكيم يا صفوان . هى التى شجعتنى على ذلك الموقف الذى وقفته منك . وأكدت لى أنك لا تلبث أن تنىء إلى الحق .

صفوان : لله درها من امرأة صدق .

فاختة : تُرى فى أى صقع من الأرض هى الآن ؟ لقد مضى على سفرها اليوم شهران ولم نسمع عنها شيئاً .

صفوان : إنها شُقة بعيدة يا فاختة .

فاختة : أخشى أن تكون قد ضلت الطريق أو لقيت فيه ما تكره .

صفوان : اطمئنى يا فاختة فإنى قد أوصيت بها رجالاً أعرفهم كانوا يقصدون اليمن .

فاختة : سمعت يا صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتزم السفر قافلا إلى المدينة .

صفوان : أجل . . بعد يومين أو ثلاثة فيما سمعت . استعدى يا فاختة فسننضم نحن إلى ركبه .

فاختة : ألا ننتظر أم حكيم وزوجها حتى يقدما إلى مكة .

صفوان : لا يا فاختة . خير لهما أن نسبقهما إلى المدينة لنهيئ لهما ما يجب .

٤

[فى المدينة المنورة بعد رجوع النبى إليها من فتح مكة وغزوة حنين]

صفوان : (يدخل بيته فى المدينة) أبشرى يا فاختة .

فاختة : أو قد رجعت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

صفوان : نعم .

فاختة : حدثنى ما ذا فعل عكرمة فى المسجد وكيف لقيه النبى صلى الله عليه وسلم ؟

صفوان : أوجز لك أم أسهب ؟

فاختة : بل أسهب يا صفوان حتى كأننى أشهده معك .

صفوان : إنى لجالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ دخل عكرمة لائذاً بأم حكيم فوقف بعيداً وصاح : يا محمد هذه أخبرتنى أنك أمّنتنى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «صدقت أم حكيم إنك آمن». فتقدم عكرمة وهو يقول : إذن فهاكها يا نبى الله كلمة أعلنها من قلب مخلص : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأنك عبده ورسوله .

فوثب النبي قائماً وهو يتهلل فرحاً واستنار وجهه كأنه القمر وقال : مرحباً بمن جاء مؤمناً مهاجراً .

فاختة : طوبى لعكرمة لقد لقى من تكرمة النبي ما لم يلقه أحد .

صفوان : انتظرى . . ليس هذا كل ما هناك .

فاختة : حدثنى ماذا حدث بعد ؟

صفوان : لحظ النبي أن عكرمة ظل مطأطئاً رأسه من شدة الحياء فقال مطيباً خاطره: « يا عكرمة ما تسألنى شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتك إياه » .

فاختة : (فى اهتمام بالغ) فماذا طلب عكرمة منه ؟

صفوان : قال عكرمة استغفرلى كل عداوة عاديتكها يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به » .

فاختة : هذا حظ لعكرمة لا مزيد عليه .

صفوان : انتظرى . . ليس هذا كل ما هناك .

فاختة : ماذا أيضاً ؟ حدثنى !

صفوان : سمعت الحاضرين يتناجون فيما بينهم : هذا تأويل رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهم عنها فحدثونى أن النبي كان قد رأى فيما يرى النائم أنه دخل الجنة فرأى فيها عذقاً فأعجبه وسأل لمن هذا ؟ فقيل :لأبى جهل وأنهم تعجبوا لذلك فقال لهم : إن الجنة لا يدخلها

إلا نفس مؤمنة" فازدادوا عجبًا . فلما جاء" عكرمة اليوم مسلمًا أدركوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أول رؤياه بإسلام عكرمة .

فاختة : (كأنها تتذكر شيئًا) وأين هما الآن ؟ أين عكرمة وأم حكيم ؟ لماذا لم يحضرا معك ؟

صفوان : تركتهما واقفين مع أخيك خالد بن الوليد وعجلت إليك لأبشرك .

فاختة : لعلك دعوت خالداً للغداء معنا اليوم ؟

صفوان : بل سبقني أبو سليمان فدعا نفسه قبل أن أدعوه .

(يقرع الباب) ها هم أولاء قد جاءوا . (يفتح صفوان الباب فيدخل عكرمة وأم حكيم وخالد بن الوليد) .

(تتعانق فاختة وأم حكيم فى فرح كما يتعانق صفوان وعكرمة) .

خالد : (ينظر إليهم ضاحكًا) ويلكم تركتموني دون ترحيب ولا تأهيل .

صفوان : معذرة يا أبا سليمان لقد شغلنا الفرح عن ذلك .

فاختة : (تحيي أخاها) مرحبًا بك يا خالد . لا شك أنك فرح بما تم اليوم لعكرمة ابن عمك .

خالد : إي والله ما شهدت كاليوم سروراً وبهجة . هذا يوم من أيام مخزوم !

صفوان : لله در نسائكم يا بنى مخزوم . يسبقن أزواجهن إلى الإسلام ثم يجاهدن حتى يفىء أزواجهن إلى الإسلام !

خالد : الحمد لله (يلتفت إلى عكرمة) كيف تجد نفسك الآن يا عكرمة ؟

عكرمة : (فى تأثر شديد) ماذا أقول يا أبا سليمان ؟ أجدنى كأنما ولدت من جديد حين وضعت يدى فى يد خير الناس وأبر الناس وأكرم الناس .

« ستار »

الإمام الشجاع

١

سلار : ياسيدى السلطان هذا الشيخ ابن مخلوف قاضى المالكية يستأذن عليك .

السلطان : ماذا يريد منى ؟

سلار : يريد أن يكلمك فى أمر ابن تيمية .

السلطان : يالى من هؤلاء الفقهاء . يتغايرون كما تتغاير التيوس . ألا يترك ابن تيمية فى دمشق ؟ ماذا يعنيه من أمره ؟

سلار : هل آذن له ياسيدى السلطان ؟

السلطان : ائذن له يا سلار لنرى ما يقول .

(يدخل ابن مخلوف)

ابن مخلوف : السلام على سيدى السلطان ورحمة الله وبركاته .

السلطان : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . خيراً يا بن مخلوف .

ابن مخلوف : ماذا صنعت لنا يا سيدى السلطان فى أمر ابن تيمية .

السلطان : أما عندكم ما يشغلكم هنا فى مصر غير أمر ابن تيمية ؟ ما شأنكم به ؟ إنه فى الشام .

ابن مخلوف : الشام يا سيدى السلطان تحت حكمك فأنت مسئول عما ينشر فى الناس هناك من بدعة .

الناصر : أتحرضوننى على ذلك الجرىء الشجاع الذى قابل القائد

التترى قازان يوم أقبل بجموعه ليغزو البلاد ، فأنذره وتوعده حتى أقنعه بالانسحاب فانسحب ؟

ابن مخلوف : لكنه مبتدع ضال مضل .

السلطان : إنى لا أعرف ما بدعته وقصارى ما أعلمه أن أهل الشام يحبونه ويجلونه وهو أهل لذلك فقد حماهم يوم قازان وأنقذهم من شره .

ابن مخلوف : هذه رسائل شيوخ العلم بدمشق تفيض بالشكوى من بدعته وتجعل التبعة علينا نحن فى مصر إذ سكتنا عنه .

السلطان : إنما هؤلاء حاسدون وقد بلغنى أنهم لا يقدرون على مناظرته فأرادوا أن يستعدوا السلطان عليه . أفتحسده أنت أيضاً يا بن مخلوف ؟

ابن مخلوف : كلا لا ينبغى أن أحسده على ضلالته .

السلطان : ألا تخشى إن نحن أحضرناه إلى مصر أن يناظركم فيفحمكم .

ابن مخلوف : بل سنفحمه ونلزمه الحجة .

السلطان : حسناً . اكتب ياسلار إلى نائب السلطنة فى دمشق أن يرسل الشيخ تقى الدين ابن تيمية على البريد .

سلار : سمعاً يا سيدى السلطان .

٢

ابن تيمية : ماذا تقول يانائب السلطنة ؟ كيف يسوغ لى أن أهرب إلى مصر اليوم .

النائب : هكذا ورد كتاب مولاى السلطان الناصر يا بن تيمية .

ابن تيمية : أليس يعلم السلطان بأن خطر التتار قد عاد مرة أخرى يهدد البلد ؟

النائب : قد كتبت إليه بذلك .

ابن تيمية : أفأترك الشام فراراً من وجوههم لأناظر زيداً وعمراً فى مصر ؟ اكتب للسلطان أن يحضر هو بجيشه إلينا بدلا من أن يستدعينى لأرى تلك العمائم التى تعمل لغير وجه الله .

النائب : صدقت يا بن تيمية . . نحن بحاجة إلى بقائك هنا لتثبت قلوب الناس وتطمئنهم فقد بدأ الهلع يسرى فى القلوب والتتار بعيد بعد فكيف إذا اقتربت جموعهم ؟

ابن تيمية : اكتب للسلطان أن يسرع بجيشه وإلا فإنه مسئول يوم القيامة عما يراق من دماء المسلمين وينتهك من حرمهم . قل له إن ابن تيمية يقول ذلك .

النائب : حالا يا سيدى الإمام .

٣

[فى الجامع الأموى بدمشق . . همهمة المصلين وهم يسلمون من الصلاة] : السلام عليكم ورحمة الله السلام عليكم ورحمة الله .

النائب : انظر يا بن تيمية . . هذا غريمك ابن الزملكانى يريد أن يخطب الناس .

ابن تيمية : لعله يريد أن يندب الناس للاستعداد لجهاد التتار .

ابن الزملكانى : أيها الناس يا معشر المسلمين اصغوا إلىّ يرحمكم الله . ها هى ذى الأنباء قد وردت تترى بأن جموع التتار قد أقبلت تطوى البلاد لتغزونا مرة أخرى . فأين ما وعدكم به تقى الدين أحمد بن تيمية إذ زعم لكم يوم قازان أنه أقنعه بالانسحاب وأنهم لن يعودوا لغزوكم مرة أخرى ؟

النائب : ويله ماذا يقول عنك يا بن تيمية ؟

ابن تيمية : دعه يتم حديثه .

ابن الزملكانى : لقد وثقتم بكلام ابن تيمية يومئذ فرفعتم مكانه ونسبتم إليه فضل إنقاذكم من شر التتار ، وأغضيتم من أجل ذلك عن البدع التى نخالف فيها جمهور العلماء من أهل السنة. فهل أدركتم اليوم أنه إنما كان يخادعكم يومذاك ليتيح

لحلفائه التتار فرصة أنسب للاستيلاء على بلادكم والتحكم فى رقابكم ؟

(همهمة سخط واستنكار)

النائب : أردد عليه يا بن تيمية .

ابن تيمية : أيها الناس . قد سمعتم ما قال هذا الشيخ عنى فاسمعوا الآن ما أقول . لقد ظننت حين قام ليخطب فيكم أنه سيندبكم للاستعداد لملاقاة التتار وجهادهم فإذا هو ينسى خطر التتار ولا يذكر غير شىء واحد هو عداوته لى ليحرضكم علىّ . وإنى أدعوكم يا معشر المسلمين ألا يشغلكم عن التفكير فى جهاد التتار شاغل ولا يصرفكم عنه صاوف. إياكم أن يحملكم الهلع على مغادرة دياركم كما فعلتم فيما مضى فتعينوا بذلك أعداءكم على أنفسكم. بل رابطوا فيها واستعدوا وأعدوا وثقوا بأن الله سيحميكم منهم وينصركم عليهم . وإن سلطانكم الناصر أعزه الله لقادم بجيشه من مصر عما قريب فأبشروا واطمئنوا .

ابن الزملكانى : (صائحاً) يا معشر الناس لا تصدقوا هذا المبتدع فإنما يأمركم بالبقاء فى دمشق لتكونوا عبيداً للتتار . إنه سيعرضكم لنكبة التتار وينجو بنفسه .

ابن تيمية : سامحك الله . اسمعوا ياعباد الله . إنى والله لأقاتلنهم معكم ، ولأكونن فى مقدمتكم ، لقد تعلمون أنى ما ثقفت منذ

صغرى غير حمل الكتب والمحابر. غير أنى قد تعلمت حمل السيف منذ قريب فاصنعوا اليوم مثلى واحذوا جميعاً حذوى .

أصوات : نحن معك يا بن تيمية . اقتلوا ابن الزملكانى . اقتلوا هذا الفاسق .

ابن تيمية : (يصيح) كلا يا عباد الله إياكم أن تقتلوه . لا يحل لكم ذلك بل كلوا أمره إلى الله يتولى حسابه .

أصوات : إنه طعن فى حقك وشتمك .

ابن تيمية : قد عفوت عنه وجعلته فى حل منى .

٤

ابن تيمية : شكراً لله سعيك يا سيدى السلطان إذ أسرعت فلبيت الدعوة .

الناصر : بوركت يا بن تيمية ، والله إن الفضل فى ذلك لراجع إليك ولا تحسبنى غافلا عما فعلت لتشجيع الناس هنا وتثبيت قلوبهم .

ابن تيمية : إنما كنت أبشر الناس بأنك ستنجدهم بجيشك .

الناصر : آه لو يعلم العلماء المحرضون عليك عندنا فى مصر أى رجل أنت !

النائب : أدركنا يا سيدى السلطان .

السلطان : ماذا وراءك ؟

النائب : انتشر النا‌س اليوم أن هؤلاء التتار قوم مسلمون لايحل قتالهم .

ابن تيمية : هذه إشاعة روجها هؤلاء الباطنية المقيمون بيننا . إنهم لأشد عداوة لنا من التتار .

السلطان : يجب القضاء على هؤلاء الخونة .

ابن تيمية : ليس الآن يا سيدى السلطان . . حتى تفرغ أولا من قتال التتار .

السلطان : أنتركهم هكذا يخذّلون الناس وينشرون الفتنة فى صفوفهم ؟

ابن تيمية : اطمئن يا سيدى . . سأكفيكم أمرهم اليوم .. سأخطب فى الناس وأبين لهم وجه الحق .

٥

ابن تيمية : (يخطب) أيها الناس إنما أرجف بهذا عيون التتار بين ظهرانينا وجواسيسهم ليخذّلوكم عن قتالهم . إن هؤلاء التتار أقبلوا يسفكون دماء المسلمين وينتهكون محارمهم ويسلبون أموالهم ، فأى إسلام هذا ؟ إياكم والشك بعد اليقين . . أيها الناس خذوها منى كلمة مجلجلة : لو رأيتمونى فى جانب التتار والمصحف فى عنقى فاقتلونى .

أيها الناس هذا جيش مصر قد جاء ليذب عنكم التتار، فمن العار أن تدعوه يقاتلهم وحده . لا يفر اليوم أحد من هذا البلد إلا سأله الله يوم القيامة عن فراره فأركسه فى نار جهنم . والذى نفسى بيده لئن صدقتموهم القتال لينصرنكم الله عليهم كما نصركم من قبل فى عين جالوت .

٦

[فى مصر] .

الناصر : ويحك يا بن مخلوف . أجئت تهنئنا بسلامة الوصول من الشام وانتصارنا على التتار . أم لتحرّضنى على ابن تيمية ؟

ابن مخلوف : إننا نحمد الله يا سيدى السلطان على ما أيدك به من النصر هناك وعلى ما أنعم به علينا من عودتك سالماً إلينا ، فمن تمام الشكر لله أن نذكرك بأن تنقذ الناس من فتنة هذا المبتدع ابن تيمية كما أنقذتهم من فتنة التتار .

السلطان : ويلكم . . لو رأيتموه فى المعركة يقاتل التتار معنا هو وأخواه وأبناء عمومته ما قلتم هذا القول .

ابن مخلوف : هذه رسائل علماء الشام تستجير بنا من بدعته .

السلطان : إنهم يحسدونه على ما له من المكانة فى العامة .

ابن مخلوف : الله أعلم بسرائرهم . ولكنا نحن العلماء هنا بمصر لا نحسده على شىء وإنما نشفق أن يفتن الناس ببدعته

ونخشى أن تقع تبعة ذلك على مولانا السلطان .

السلطان : ليس أمامى إلا أن أدعوه للحضور إلى مصر لتناقشوه .

ابن مخلوف : حسبنا منك هذا يا مولاى السلطان .

٧

النائب : (فى دمشق) قد بلّغتك رغبة السلطان يا بن تيمية ، ولكنى لا أنصحك بالمسير إلى مصر .

ابن تيمية : لماذا ؟

النائب : العلماء هناك سيثيرون العامة عليك .

ابن تيمية : ولكن الناصر يعرفنى .

النائب : سيضطر السلطان إلى مطاوعتهم إرضاء للعامة إذا ثاروا عليك .

ابن تيمية : فإنى أريد أن أهدى أولئك العامة إلى سبيل الحق . ولعل الله قد هيأ لى هذا السبب لأقوم بواجبى فى هداية الناس هناك .

[فى مجلس القاضى ابن مخلوف] .

ابن تيمية : ما هذا يا بن مخلوف ؟ هذا مجلس قضاء . وليس مجلس مناظرة .

ابن مخلوف : أجل يا بن تيمية . لا حاجة بنا إلى مناظرتك .

أنت مبتدع ضال ، فعلينا أن نستتيبك فإن تبت خلينا سبيلك وإلا حبسناك لئلا تفتن الناس .

ابن تيمية : ويلك أنت تزعم أنى مبتدع وأنا أزعم أنك أنت المبتدع فاعقد لنا مجلساً نتناظر فيه أمام الناس فإن أقمت على الحجة رجعت فى الحق وإذا أقمتها عليك رجعت أنت .

ابن مخلوف : ويلك أتريد أن تفتن الناس هنا أيضاً .

ابن تيمية : بل أريد أن أهديهم .

ابن مخلوف : خذوه فاحبسوه .

٨

ابن تيمية : مرحباً بك ياسيدى السلطان . . جئت تزورنى فى الحبس .

السلطان : القاضى حكم بحبسك ولا أقدر أن أعارضه فأثير العامة . فهل لك أن أطلقك فتعود إلى الشام ؟

ابن تيمية : أما الآن فلا . سأبقى هنا فى مصر حتى أرى العامة وأهديهم .

السلطان : اسمع نصيحتى . . إنه ليعزّ علىّ أن تحبس .

ابن تيمية : إن أحبس فقد حبس من هو خير منى فى مثل ماحبست به.

السلطان : من ذا تعنى ؟

ابن تيمية : الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ولقد كان يضرب

ويعذب فى الحبس، أما أنا فقد أوصيتهم أنت بالرفق بى ، فوالله ما هذا بحبس وإنه لمنزل خير من منزلى بدمشق .

٩

ابن تيمية : أدعوتنى يا سيدى السلطان ؟

السلطان : يا بن تيمية يا صديقى العزيز لقد عرضت نفسى لثورة الفقهاء ، إذ أخرجتك من الحبس فما باليت بغضبهم .

ابن تيمية : إنك مشكور على ذلك . فقد مكنتنى من تبيان الحق للناس فصاروا يحبوننى ويجلوننى وسيجزيك الله على ذلك خيراً ويثيبك .

السلطان : ولكنك تركت الفقهاء اليوم وعمدت إلى شيوخ الطريق تحمل عليهم وتندد بهم .

ابن تيمية : الفقهاء يا سيدى السلطان يتأولون ولكنهم على كتاب الله وسنة رسوله . أما أدعياء التصوف هؤلاء فدجالون يضلون العامة ويستولون على أموالهم باسم الدين ، فيجب على العلماء أن يكشفوا للناس أضاليلهم .

السلطان : هذا الشيخ نصر المنجى يحرض الناس عليك وأخشى أن . .

ابن تيمية : لا تخش شيئاً يا سيدى ، سأكشف للناس خداعه وتدليسه فينفضون عنه .

السلطان : كلاّ يا بن تيمية ، لا آمن أن تثير علينا فتنة هوجاء فى فى البلد . عدنى بأنك لن تتعرض لهؤلاء مرة أخرى .

ابن تيمية : هذا واجب فرضه الله علىّ فكيف تريد منى أن أعدك بتركه ؟

السلطان : اسمع يا تقى الدين ، اختر أحد أمرين إما الرجوع إلى دمشق وإما الحبس .

ابن تيمية : فإنى أختار الحبس .

السلطان : الحبس ؟

ابن تيمية : نعم فهو أقرب لى من دمشق .

السلطان : والله لقد حيرتنى . اذهب إذن حيث شئت فإنى غير مسئول عنك إذا أصابك أذى من قبل العامة .

ابن تيمية : الله حسبى ونعم الوكيل .

سلار : استرح الآن يا سيدى السلطان فقد تعبت من استقبال المهنئين من الكبراء والعلماء .

الناصر : أرأيت يا سلار كيف جاء هؤلاء المنافقون يهنئوننى اليوم ولعلهم صنعوا مثل هذا للجاشنكير إذ اغتصب مكانى أمس .

سلار : أجل يا سيدى السلطان إلا من عصم الله منهم وفى مقدمتهم ابن تيمية .

الناصر : نسيت أن أسألك عنه .أين هو اليوم ؟

سلار : بالإسكندرية . نفاه إليها الجاشنكير بتحريض من الشيخ نصر المنبجى والقاضى ابن مخلوف وأشياعهما .

الناصر : ويلهم . . عبيد من غلب . والله إن قلامة ظفر ابن تيمية ليسوى عمائمهم . ابعث من يحضره إلينا معززاً مكرماً .

١٠

الناصر : هيهات يا بن تيمية قد بلغنى كل ما صنعت من أجلى .

ابن تيمية : كلا ما صنعت شيئاً من أجلك يا سيدى السلطان وإنما من أجل مصلحة الأمة والبلاد .

السلطان : فسيّان ذلك عندى . اسمع يا تقى الدين إنى قد أمرت بإحضار ابن مخلوف وأضرابه من حسادك لأحكمك فى أمرهم فاقترح ما تشاء من العقوبة لهم .

ابن تيمية : أمن أجل أنهم صانعوا عدوك الجاشنكير أمس وسلموا عليه ؟ سامحهم يا سيدى السلطان فإنما فعلوا ذلك خوفاً منه لا حبّاً له .

السلطان : بل لأنهم عادوك أنت وآذوك ؟

ابن تيمية : تريد أن تعاقبهم من أجلى ؟
السلطان : نعم .
ابن تيمية : لا تفعل فقد سامحتهم وجعلتهم فى حل منى . . ولم بعد لشيوخ العلم إن بطشت بهم فلن تجد مثلهم .
السلطان : والشيخ نصر المنبجى الذى حرض الجاشنكير على نفيك إلى الإسكندرية ؟
ابن تيمية : قد أسدى إلىّ هذا الشيخ معروفاً وفضلا .
السلطان : كيف ؟
ابن تيمية : أتاح لى الفرصة لهداية خلق كثير هناك إلى السنة بعد ما فتنتهم مخاريق الصوفية .
السلطان : لكنه قصد بنفيك إلى الإسكندرية أن يغتالك أتباعه فيها .
ابن تيمية : فقد أظفرنى الله بكثير منهم فجعلهم من أتباع السنة .
السلطان : والله لقد حيرتنى ياتقى الدين .
ابن تيمية : علام الحيرة يا سيدى السلطان والله يقول فى كتابه العزيز : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » .

١١

السلطان : أحقاً يا بن تيمية أنك تنوى الرجوع إلى دمشق !
ابن تيمية : نعم يا سيدى السلطان .

السلطان : وجئت اليوم لتودعنى ؟

ابن تيمية : كلا يا سيدى السلطان إنك ستمضى معى بجيشك . ألم تبلغك أنباء التتار على الحدود ؟

السلطان : ما أحسبهم يجرؤون مرة أخرى على التقدم .

ابن تيمية : إذا بلغهم أنك سرت بجشك إلى الشام فسيعدلون عن التقدم . . أما أن . .

السلطان : حسناً انطلق أنت قبلى وسنلحق بك .

ابن تيمية : كلا لا أسير إلا معك .

السلطان : ما أشد عنادك أتريد أن تفرض رأيك على ؟

ابن تيمية : معاذ الله ، وإنما أذكرك بما فرض الله عليك من رعاية مصلحة المسلمين إذ ولاك الله عليهم .

السلطان : بوركت يا بن تيمية . . سآمر الجيش غداً بالاستعداد للمسير .

١٢

السلطان : ما أدرى يا بن تيمية أخرج أهل دمشق لاستقبالى أم لاستقبالك أنت ؟

ابن تيمية : بل لاستقبال ضيفهم الكبير ، فما أنا إلا واحد من عامتهم.

السلطان : يحق لهم والله أن يفخروا بك فقل أن تنجب البلاد مثلك .

ابن تيمية : يا سيدى إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .
السلطان : ألم أقل لك يابن تيمية إن التتار لن يجرؤوا على التقدم ؟
ابن تيمية : أدركوا أنك متيقظ فارتدوا إلى ديارهم .
السلطان : هل تعود معى إلى مصر أو تبقى ؟
ابن تيمية : بل سأبقى هنا بجوار والدتى العجوز فقد حزنها طول غيابى وإنى بعد لنى شوق أن أتفرغ للتأليف .
السلطان : أرجو ياشيخ ألا تثير الناس مرة أخرى بتآليفك وفتاويك . وهذا نائب السلطنة قد أمرته أن يجرى عليك ما يكفيك .
ابن تيمية : شكراً يا سيدى السلطان ، لست فى حاجة إلى رزقك فاجعله لغيرى ممن يستحقونه .

١٣

النائب : قد قلت لك يا سيدى الإمام إن العلماء سيكتبون إلى السلطان فى شأن الفتيا الجديدة التى أفتيتها .
ابن تيمية : ويلهم . . ألا يناقشونى فى ذلك بدلا من الكتابة إلى السلطان ، فما شأن السلطان فى ذلك ؟!
النائب : زعموا له أنك خالفت فى ذلك آراء الأئمة الأربعة والفقهاء جميعاً .
ابن تيمية : ما يضيرنى ذلك وقد أيدت فتواى بالأدلة والبراهين من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

النائب : لقد كتب إلىّ السلطان يأمرك بسحب هذه الفتيا .

ابن تيمية : (غاضباً) اكتب إليه أنى لا أسحب الفتيا لقول أحد إلا أن يقيم علىّ البرهان من الكتاب والسنة .

النائب : العلماء ثائرون عليك فى كل مكان . . فى الشام وفى مصر .

ابن تيمية : لو قام علىّ أهل الأرض جميعاً ما سحبت فتواى .

النائب : إذن فسأضطر إلى حبسك بالقلعة .

ابن تيمية : السلطان هو الذى أمرك بذلك ؟

النائب : نعم .

ابن تيمية : فافعل ما تؤمر .

النائب : يحزننى ذلك ياسيدى الإمام .

ابن تيمية : لا عليك . . متى تحب أن تأخذونى إلى القلعة ؟ الآن ؟

النائب : ابق الليلة عند أهلك حتّى الغد . .

ابن تيمية : أمر السلطان مطاع .

النائب : هل تقترح علىّ شيئاً ؟

ابن تيمية : لا شىء إلا أن تأذنوا لأخى زين الدين أن يخدمنى ويتردد علىّ .

النائب : لك ذلك يا سيدى الإمام .

١٤

ابن تيمية : مرحباً بنائب السلطان . هل شاقك أن ترى سجن القلعة .
كيف حال السلطان الناصر .

النائب : هو بخير ، وكيف أنت يا سيدى الإمام .

ابن تيمية : بحمد الله كما ترى . . هنا العزلة والطمأنينة ولله الحمد .

النائب : سيدى الإمام . .

ابن تيمية : نعم .

النائب : هلا تسحب فتواك فى يمين الطلاق . . لتنقضى هذه المحنة ؟

ابن تيمية : ويلك ، ألم أقل لك إنى هنا فى نعمة لا فى محنة . أو تظن أننى كذبتك ؟

النائب : كلا ياسيدى ولكن . .

ابن تيمية : ولكن ماذا ؟

النائب : لدىّ أمر من السلطان أخشى أن يزعجك سماعه .

ابن تيمية : قل ولا تخف .

النائب : لقد أمر السلطان بأن يحال بينك وبين هذه الكتب والأقلام والمحابر .

ابن تيمية : ماذا تقول ؟ أتفرقون بينى وبين أحب شىء إلىّ فى الحياة ؟ فيم أعيش إذن بعد ؟

النائب : هكذا أمر السلطان .

ابن تيمية : العلماء أشاروا عليه بذلك ؟

النائب : أجل .

ابن تيمية : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اليوم تبدأ المحنة !

١٥

ابن تيمية : (فى صوت ضعيف) زين الدين . حضرت يا زين الدين ؟ الحمد لله . هلم يا أخى . ادن منى .

زين الدين : كيف أنت اليوم يا أخى ؟

ابن تيمية : فى أحسن حال .

زين الدين : زال ذلك الوجع الذى تشكو منه ؟

ابن تيمية : عما قريب تزول أوجاعى كلها يا زين الدين . الحمد لله إذ حضرت خشيت أن تتخلف اليوم فتراني ولا أراك .

زين الدين : (يجهش باكياً) بل تعيش يا سيدى الإمام . إنك اليوم بخير .

ابن تيمية : أجل إنى بخير وكيف لا وأنا بعد لحظات ملاق ربى .

زين الدين : حسبهم الله . منعوا عنك الكتابة والتأليف عمداً ليقتلوك .

ابن تيمية : اصغ إلىّ يا زين الدين قبل أن يثقل لسانى فلا أستطيع الإفصاح . أبلغ الناس جميعاً أننى قد أحللت كل من عادانى وهو لا يعلم أنى على الحق ، وأحللت السلطان

الناصر من حبسه إياى وأحللت كل أحد مما بينى وبينه إلا من كان عدواً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .أوعيت قولى ؟

زين الدين : نعم يا أخى .

ابن تيمية : هذه وصيتى لك تبلغها للجميع .

زين الدين : سأفعل يا أخى .

ابن تيمية : آه . . ساعدنى يا بن أبى لأدير وجهى صوب القبلة . نعم هكذا . أحسنت . (بصوت متقطع) اللهم اغفرلى ولوالدى وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . .

زين الدين : (فى تفجع) أحمد . أحمد . أخى . أخى . لا حول ولا قوة إلا بالله . إنا لله وإنا إليه راجعون .

« ستار »

الخاتم

[موكب الخليفة هارون الرشيد يسير]

صوت : (يرتفع من خلال الموكب) يا أمير المؤمنين . . يا أمير المؤمنين ،عندى وديعة لك .

الرشيد : افسحوا الطريق لهذا الرجل .

أصوات : افسحوا الطريق . افسحوا الطريق .

الصوت : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

الرشيد : وعليك السلام . ماذا وراءك ؟

الصوت : عندى وديعة لك يا أمير المؤمنين .

الرشيد : وديعة ؟

الصوت : أجل . . هذا الخاتم يا أمير المؤمنين كلفت أن أسلمه إليك .

الرشيد : (فى صوت متهدج) ويلك من أين جئت بهذا الخاتم ؟

الصوت : من صاحبه يا أمير المؤمنين .

الرشيد : أتعرف صاحبه ؟

الصوت : نعم يا أمير المؤمنين . . هو الذى كلفنى بإيصاله إليك .

الرشيد : (لرجاله) أركبوا هذا الرجل معكم . وليمثل أمامى فى القصر .

أصوات : سمعاً يا أمير المؤمنين .

(الموكب يستأنف سيره)

* * *

[فى قصر الخليفة]

الرشيد : هلم ادن منى يا رجل .

الرجل : لبيك يا أمير المؤمنين .

الرشيد : ما اسمك ومن أين قدمت ؟

الرجل : أنا عبد الله بن الفرج قدمت من البصرة يا أمير المؤمنين .

الرشيد : تقول إنك تعرف صاحب الخاتم ؟

عبد الله : نعم . . هو أحمد السبتى .

الرشيد : أحمد السبتى ؟

عبد الله : نعم . . هكذا يدعونه هناك .

الرشيد : أين ؟

عبد الله : بالبصرة .

الرشيد : هو الآن بالبصرة ؟

عبد الله : كان يا أمير المؤمنين بالبصرة .

الرشيد : وأين هو الآن ؟

عبد الله : أطال الله بقاءك يا أمير المؤمنين . قد توفى إلى رحمة الله .

الرشيد : توفى ؟

عبد الله : نعم ، أعظم الله أجرك فيه يا أمير المؤمنين وأحسن عزاءك .

الرشيد : لكن صف لى نعته أولا يا بن الفرج .

عبد الله : شاب يا أمير المؤمنين فى حدود العشرين . . مديد القامة عريض المنكبين . أقنى الأنف أشهل العينين .

الرشيد : ويلك ما بالك تحد النظر إلى ؟

عبد الله : معذرة يا أمير المؤمنين . لقد راعنى شبهه الكبير بك ولولا أنه خفيف اللحم لقلت إنه صورة منك .

الرشيد : حسبك يا هذا . . إنه هو . لا حول ولا قوة إلا بالله : إنا لله وإنا إليه راجعون . وهاً عليك يا أحمد . واهاً عليك إلى الأبد .

عبد الله : هو ابنك يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد : نعم . . هو أول مولود لى وأكرمه على . ألم يخبرك هو بذلك يا عبد الله ؟ .

عبد الله : لا يا أمير المؤمنين . . لم يخبرنى هو بذلك وإنما أخبرتنى الحاجة خديجة الحموية الذى كان مقيماً عندها .

الرشيد : ومن تكون هذه الحاجة ؟

عبد الله : امرأة تقية صالحة قد انقطعت فى منزلها للعبادة والنسك . وقد علمت أنه نشأ وتربى عندها منذ الصغر .

الرشيد : إنك لتعلم عنه الكثير . . حدثنى كل ما تعرف عنه . . حدثنى كيف عرفته ؟ .

عبد الله : هل لك أن تعفيني يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد : فيم .. ويلك ؟

عبد الله : أستحى يا أمير المؤمنين أن أقص عليك ذلك .

الرشيد : بل ارو لى قصته يا عبد الله فإن ذلك يهمنى .

عبد الله : هل تصدق يا أمير المؤمنين أنه كان بنّاء جصّاصاً يعمل فى منازل الناس بالأجرة ؟

الرشيد : (فى أسى) ويحه .. حدّث يا عبد الله . كيف عرفته ؟

عبد الله : احتجت يوماً يا أمير المؤمنين إلى رجل يرمّ لى شيئاً فى الدار ، فخرجت إلى ساحة البنائين والجصّاصين فوجدت شابّاً مصفر الوجه يحمل أدواته فى زنبيل كبير .

* * *

عبد الله : أنت جصّاص ؟

أحمد : نعم .

عبد الله : بكم تعمل عندى اليوم ؟

أحمد : بثلاثة دراهم .

عبد الله : هذا كثير . خذ لك درهمين .

أحمد : التمس غيرى أحسن الله إليك .

عبد الله : إنى أراك ضعيف الجسم .

أحمد : سترى عملى فيعجبك إن شاء الله .

عبد الله : هلم معى .

أحمد : على شريطة .

عبد الله : ما هى .

أحمد : إذا كان وقت الظهر وأذن المؤذن خرجت وصليت فى المسجد جماعة ثم رجعت وكذلك أفعل فى العصر .

عبد الله : لكن .

أحمد : لا تخف . . لن يشغلنى حق الله عن حقك .

عبد الله : قد قبلت شرطك فهلم معى . .

* * *

عبد الله : وانقضى النهار يا أمير المؤمنين فوجدته قد عمل ما يعدل عمل رجلين ، فأردت أن أزيده فى الأجر فأبى إلا أن يأخذ ما اشترط ، فوالله يا أمير المؤمنين لقد عجبت من أمره .

الرشيد : ثم ماذا يا عبد الله ؟

عبد الله : فصرت ألتمسه يا أمير المؤمنين كلما عنّت لى حاجة . ودللت أصحابى عليه ليعمل عندهم فيحمدونه إلىّ ويثنون على عمله . . إلى أن جاءنى ذات يوم ليعمل عندى وكان ذلك فى شهر رمضان فأنكرت ضعفه وشحوب وجهه .

* * *

عبد الله : أراك اليوم تعباً يا أحمد فانصرف الساعة يا بنى .

أحمد : كلا يا سيدى . . ليس بى شىء وإنما هذا من أثر الصيام .

عبد الله : بل تنصرف يا بنى .

أحمد : إذا كنت لا ترغب فى عملى فسأعمل عند غيرك . فإنى بحاجة إلى الأجر .

عبد الله : كلا لا تعمل اليوم البتة وسأعطيك أجرك كاملا .

أحمد : قد علمت يا سيدى أنى لا أقبل الصدقة .

* * *

عبد الله : فتركته يعمل يا أمير المؤمنين فلما كان الظهر تفقدته فوجدته جالساً يتفصد عرقاً وترتعش أوصاله .

عبد الله : ألم أقل لك يا بنى ألا تعمل اليوم ؟

أحمد : هل لك يا سيدى أن تصنع معروفاً ؟ !

عبد الله : نعم .

أحمد : احملنى إلى منزلى بدرب الحسن البصرى عند الحاجة خديجة الحموية فإنى أخشى أن أموت قبل أن أراها .

عبد الله : فحملته على دابة وسقتها حتى بلغت به المنزل الذى يريد فتحامل على حتى دخلنا المنزل . فاستقبلتنا الحاجة خديجة الحموية فلما رأت ما به قادته إلى فراشه فأضجعته عليه .

الحاجة : ألم أقل لك يا بنى لا تعمل اليوم .

أحمد : لا بأس يا أماه . . لا أحب أن ألقى الله وأنا عاطل .

عبد الله : خذى يا سيدتى . هذا أجر ما عمل عندى اليوم .

أحمد : كم .

عبد الله : ثلاثة دراهم .

أحمد : كلا يا أماه لا تأخذى منه غير درهم ونصف . أجر نصف يوم جزاك الله خيراً يا عبد الله بن الفرج إذ أوصلتنى إلى دارى فهل لك فى معروف آخر تصنعه لى ؟

عبد الله : حبًّا وكرامة يا بنى .

أحمد : جزاك الله خيراً . . هذا رجل صالح أمين يا أماه وقد رأيت أن أعهد إليه بوصيتى إذا أذنت .

الحاجة : افعل يا بنى .

أحمد : أين الخاتم يا أماه ؟

الحاجة : هاهو ذا يا بنى .

أحمد : ادن منى يا عبد الله بن الفرج . إذا أنا مت فخذ هذا الخاتم معك إلى بغداد واجتهد أن تسلمه للخليفة هارون الرشيد .

عبد الله : هارون الرشيد ؟

أحمد : نعم . أيشق عليك ذلك ؟

عبد الله : لا ولكن كيف لى بالوصول إليه ؟

أحمد : انظر يوم يركب الخليفة فقف له فى موضع يراك فأره الخاتم فإنه سيدعو بك ويكرمك فإذا خلوت به فقل له يقرئك صاحب الخاتم السلام ويقول لك . . .

الرشيد : ويقول لك ماذا ؟

عبد الله : اعفنى يا أمير المؤمنين .

الرشيد : بل تقول . .

عبد الله : ويقول لك . ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إذا مت على سكرتك هذه ندمت وطال ندمك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

* * *

زبيدة : يحزننى يا أمير المؤمنين أن تحزن كل هذا الحزن لموت ولدك .

الرشيد : دعينى يا زبيدة . . فو الله لو بكيته طول الأبد ما قضيت حق الحزن عليه . لقد كان يعمل جصّاصاً بالدرهم والدرهمين وعبيدى فى القصر يأكلون اللحم والحلوى .

زبيدة : هو الذى اختار لنفسه تلك العيشة فما ذنبك أنت ؟

الرشيد : وددت لو استمعت لنصحه يوم قدم علينا فى القصر .

زبيدة : أراد منك أن تسير سيرة عمر بن عبد العزيز فهل كان ذلك فى إمكانك ؟

الرشيد : كان علىّ أن أسايره وأتلطف معه ولكنى أغريت به

رجال القصر فامتنعوا عن الحديث معه ومنعوا الناس من الاتصال به حتى ضاق بذلك ذرعاً فهرب من القصر واختفى .

زبيدة : ما صنعت غير ما اقتضته مصلحتك ومصلحة الدولة أفكنت تاركه يقيم النكير عليك فى العلانية ويثير الناس عليك ؟

الرشيد : بل كنت تحرضيننى عليه خشية أن أجعل له ولاية العهد مكان ابنك .

زبيدة : يا أمير المؤمنين هل كنت ترى ناسكاً متشدداً مثله يصلح لولاية العهد ؟ إذن لجعل أول همه القضاء على ملك آل العباس ، وإذن لثار به بنو أبيك فقتلوه .

الرشيد : إنى راحل غداً إلى البصرة لأزور القبر الذى ضم رفاته وأترحم عليه .

زبيدة : افعل يا أمير المؤمنين ، لعلّ ذلك يخفف عنك ما بك .

الرشيد : ولأزور أمه كذلك .

زبيدة : أمه ؟ ألم يخبرنا هو أنها قد ماتت ؟

الرشيد : اطمئنى يا زبيدة فإن الأم التى أنجبته والتى كنت تغارين منها قد ماتت ، وإنما أعنى تلك المرأة العجوز الصالحة التى ربته وتبنته .

زبيدة : بل تريد أن تلقاها فتعرف منها قصة أم أحمد حبيبة قلبك .

الرشيد : الله منكن ! تغار إحداكن من الضرة حتى بعد أن يواريها التراب !

زبيدة : هذه ليست كالضرائر الأخر يا هارون . . إنك لم تسلُ حبها ولا الحنين إليها قط .

الرشيد : (يتنهد تنهدة خافتة) آه .

* * *

الرشيد : أين قبره يا عبد الله بن الفرج .

عبد الله : من هنا يا أمير المؤمنين . . فى مقابر عبد الله بن مالك.

الرشيد : صه . لا تدعُنى هكذا . . لا أريد أحداً أن يعرف من أنا .

عبد الله : معذرة يا . .

الرشيد : هارون .

عبد الله : معذرة يا هارون فقد سهوت .

الرشيد : لا عليك . دلنى الآن على قبره . انظر ! إن يصدقنى قلبى فذاك قبره !

عبد الله : أجل هذا قبره وهذا قبر والدته وهذا الشاهد الذى عليه مكتوب فيه اسمه .

الرشيد : (يتلو بصوت يخنقه البكاء) هذا قبر الفقير إلى رحمة

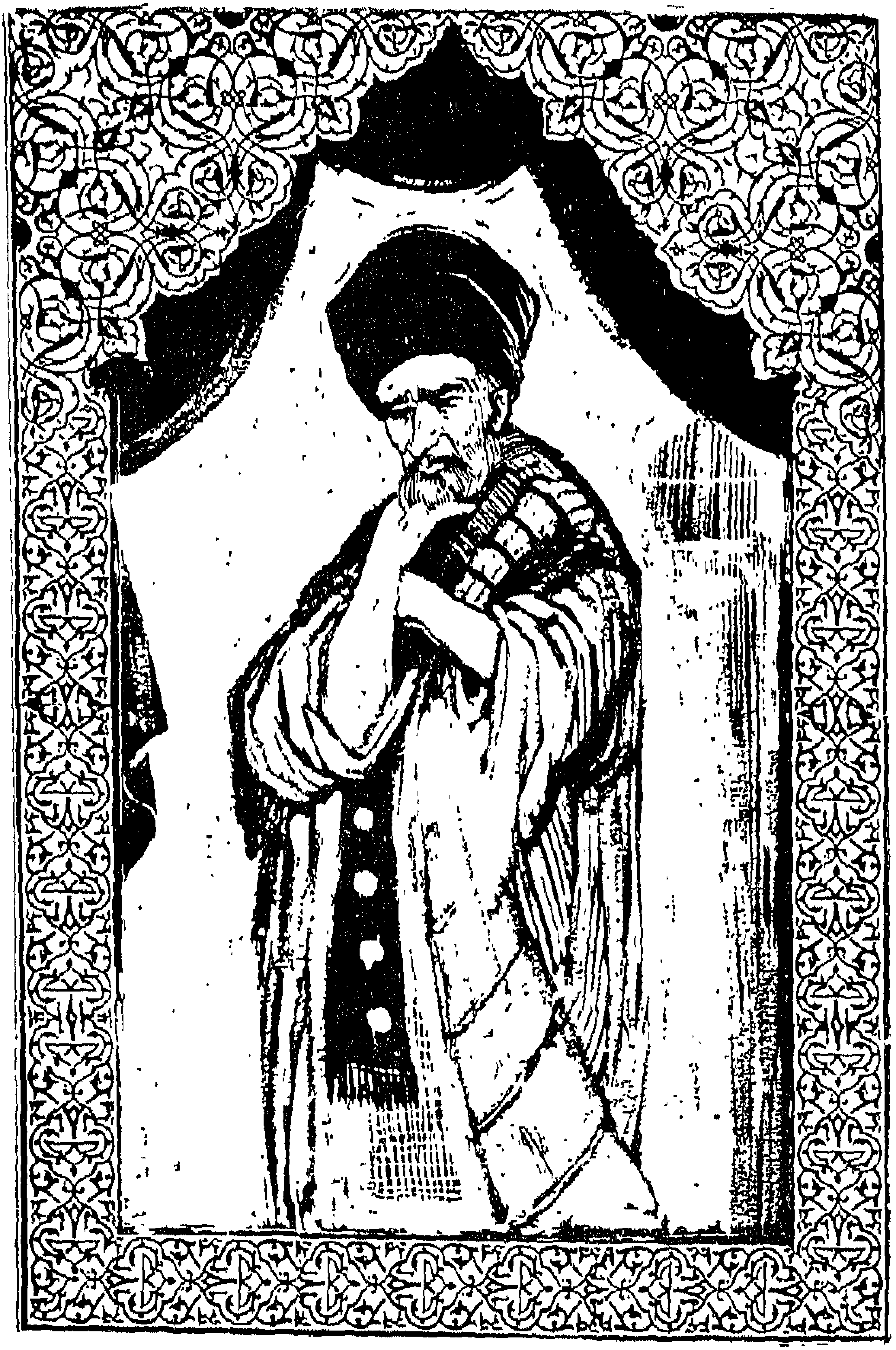

الله . أحمد السبتى توفى يوم الأربعاء السابع عشر من شهر رمضان . .

* * *

عبد الله : لقد بكيت كثيراً على القبر .

الرشيد : هذا خير لى يا بن الفرج . لا أريد أن يغلبنى الجزع فى حضرة الحاجة خديجة الحموية . . أين منزلها . . ألم يزل بعيداً ؟

عبد الله : لا . . قد اقتربنا منه . هذا درب الحسن البصرى .

الرشيد : ويح أحمد ابنى . . كان يدرج فى هذا الحى .

* * *

الحاجة : مرحباً بك ادخل يا عبد الله بن الفرج . حمداً لله على السلامة . هل بلغت وصية ابنى ؟

عبد الله : نعم .

الحاجة : جزاك الله خيراً .

عبد الله : جئتك يا سيدتى بضيف معى .

الحاجة : مرحباً بك وبضيفك . مرحباً بك يا أمير المؤمنين . هل قدمت لزيارة قبر ابنك ؟

الرشيد : نعم يا سيدتى وقد زرته مع عبد الله بن الفرج .

الحاجة : وزرت القبر للذى بجانبه .

الرشيد : نعم زرت قبر أمينة رحمها الله .

الحاجة : رحمة الله عليهما. لقد كانا خير أم وخير ولد. لقد زهدا في الدنيا وابتغيا الدار الآخرة والدار الآخرة خير وأبقى .

الرشيد : الآن علمتُ يا سيدتى من أين اقتبس أحمد زهده وتقواه .

الحاجة : من والدته أمينة يا أمير المؤمنين . فقد كانت ناسكة زاهدة .

الرشيد : لعل لك يا سيدتى الحاجة أن تحدثينى كيف عرفت أمينة وكيف اتصلت أسبابها بأسبابك .

الحاجة : حبًّا وكرامة يا أمير المؤمنين فإن حديث أمينة لحبيب إلى نفسى وإن سيرتها لمن أجمل سير المؤمنات الصالحات . كان ذلك يا أمير المؤمنين منذ خمس وعشرين سنة . طرق بابى ذات ليلة ففتحته فإذا فتاة رائعة الجمال وعلى وجهها آثار الحزن .

أمينة : أأنت الحاجة خديجة الحموية ؟

الحاجة : نعم . ادخلى يا بنيّتى . ادخلى . (يسمع غلق الباب)

الحاجة : من تكونين وماذا تريدين ؟

أمينة : أنا يا سيدتى امرأة هاربة من الدنيا وفى بطنى جنين يريد أن يخرج إلى الدنيا فهل لك أن تؤوينى عندك أقوم بخدمتك وأتأسى بصلاحك حتى أضع مولودى ؟

الحاجة : وأين أهلك يا بنيتى ؟

أمينة : لم يعد لى أهل . كنت أعيش مع جدة لى فماتت .

الحاجة : هنا بالبصرة ؟

أمينة : لا ياسيدتى فى ناحية من ضواحى بغداد .

الحاجة : إذن فأنت غريبة ؟

أمينة : نعم .

الحاجة : ما اسمك يا بنيتى .

أمينة : اسمى أمينة .

الحاجة : أنت يا أمينة على الرحب والسعة .

أمينة : جزاك الله خيراً يا سيدتى . سترين منى إن شاء الله ما يسرك .

الحاجة : وهكذا يا أمير المؤمنين نزلت عندى ، ولم ألبث أن أ ببتها لتقواها وصلاحها واتخذتها بمنزلة ابنتى ثم وضعتْ غلامها فسميناه أحمد ، ولما أيفع عهدنا إلى أحد البنائين ليعلمه صناعة البناء وما كنت أعلم أنه ابن هارون الرشيد أمير المؤمنين .

الرشيد : كأنها لم تخبرك بقصتها كاملة ؟

الحاجة : لا يا أمير المؤمنين ، لم تخبرنى فى أول الأمر ولم أشأ أن أسألها لئلا أحرجها ، فقد ظننت — أستغفر الله — أنها ألمت بذنب فأرادت أن تتوب فقلت لنفسى : هذا أفضل

عمل عند الله ، وبقينا على ذلك إلى أن كان مرضها الذى ماتت فيه فدعتنى أنا وأحمد فجلسنا حول فراشها .

أمينة : لقد آن لى اليوم ياسيدتى أن أفضى إليك باسم والد أحمد ، وأنت يا أحمد يجب أن تعرف اليوم من أبوك قبل أن أموت .

الحاجة : استريحى يا أمينة . . لا تجهدى نفسك .

أمينة : لن تسمعى يا سيدتى إلا خيراً .

أحمد : لقد أخبرتنى يا أماه أن اسم أبى هارون وأنه تاجر من بغداد وأنه ذهب فى رحلة فلم يعد .

أمينة : أجل يا بنى . . إن اسمه هارون . وقد زعم لى حين تزوجنى أنه تاجر من بغداد ثم تبين لى بعد ذلك أنه ابن المهدى وأنه ولى الخلافة فتلك هى الرحلة التى لم يعد منها إلىّ . .

الحاجة : تعنين أنه هارون الرشيد أمير المؤمنين ؟

أمينة : نعم . . وهذا خاتمه الذى تركه عندى فاحفظيه عندك يا سيدتى حتى يبلغ أحمد مبلغ الرجال فإذا شاء أن يزور والده فليحمل إليه هذا الخاتم فإنه سيعرفه .

* * *

الحاجة : وتوفيت أمينة يا أمير المؤمنين وطفق أحمد يلح علىّ أن آذن له ليرحل إليك فكنت أستأنيه حتى يبلغ مبلغ

الرجال إلى أن جاءنى ذات يوم .

أحمد : دعينى يا أماه أرحل إلى أبى فإنى اليوم رجل .

الحاجة : أخشى يا بنى ألا تعود إلىّ .

أحمد : بل أعرف ماذا تخشين يا أماه . إنك تخشين أن يفتننى ما عند أبى من الملك والدنيا فأنسى الله والدار الآخرة .

الحاجة : أجل يا بنى ، إنى أخشى عليك ذلك .

أحمد : اطمئنى يا أماه فإن ذلك لن يكون . إنما أريد أن أذهب إلى أبى لأعظه وأنصحه لعل الله ينفعه بموعظتى فيكون كالخليفة العادل الزاهد عمر بن عبد العزيز .

الحاجة : فلم يسعنى يا أمير المؤمنين إلا أن آذن له له ، فأعطيته الخاتم وزودته ببعض الزاد ورحل ثم كان منه عندك ما كان .

الرشيد : أجل ياسيدتى ، لقد أردت أن أجعل له ولاية العهد وأراد هو أن يحملنى على أن أسير سيرة عمر بن عبد العزيز ، أردت له الدنيا وأراد لى الآخرة ، ولما لم يجد عندنا ما أحب غادر القصر دون أن يودعنى وأرسلت فى طلبه فلم يعثر له على أثر حتى جاء عبد الله بن الفرج بخبره .

الحاجة : عاد إلىّ حينئذ يا أمير المؤمنين وأخبرنى بكل ما حدث .

الرشيد : ترى ماذا قال لك ؟

الحاجة : قال لى والدموع فى عينيه .

أحمد : إن أبى يا أماه لم يسمع لوعظى وإن رجال القصر كانوا

جميعًا إلبًا واحداً علىّ وليس فيهم من يرجو لله وقاراً .

الحاجة : هون عليك يابنى . . إن هذا الذى ابتغيته ليس بالأمر الهين وقد أديت أنت ما عليك من النصيحة لأبيك .

أحمد : إنى خائف عليه يا أماه من مشهد يوم عظيم ، ألا أستطيع يا أماه أن أصنع لأبى شيئًا ؟ ألا أستطيع أن أنفعه بشىء ؟

الحاجة : نعم تتقى الله يا بنى وتعمل صالحًا وتدعو له .

الرشيد : يا ويحه ! لقد ظننت أنه ذهب حاقداً علىّ .

الحاجة : كلا يا أمير المؤمنين لقد كان يحبك حبا جمًّا . . كان يعمل نهاره ليتصدق بأجر ذلك على الفقراء والمساكين فإذا كان الليل قام يتهجد ويتعبد ولا يكف لسانه عن الاستغفار لله حتّى ضعف جسمه فأشفقت عليه من ذلك يا أمير المؤمنين .

الحاجة : ويحك يا بنى . . قد ضعف جسمك فانقطع عن العمل عند الناس فعندى بحمد الله ما يكفينى لنفقتى ونفقتك .

أحمد : ويحك يا أماه . إن الصدقة خير العمل وإن أفضل المال ما يكسبه المرء من عمل يده فدعينى أتصدق بأفضل المال لعل الله يغفر لأبى أمير المؤمنين .

الحاجة : لقد سألتنى يا أمير المؤمنين فهل لى أن أسألك ؟

الرشيد : حبًّا وكرامة .

الحاجة : حدثني كيف تزوجت أمينة أم أحمد ؟ وكيف تخليت عنها حتى لجأت إلى هنا بالبصرة، فقد علمت أنها كتمت هذا السر عني ولم أشأ أن أحرجها بالسؤال .

الرشيد : أجل سأحدثك يا سيدتي بما تحبين . كان ذلك في حياة المهدي أبي رحمة الله عليه وكنت فتى في السابعة عشرة وكنت مغرماً بركوب الخيل . فبينا أنا أتجول في إحدى ضواحي العاصمة إذ لمحتها أمام كوخها تحلب شاة لها فوقعتْ من نفسي واستسقيتُها فسقتني وأعجبني حياؤها وحديثها ، وجعلت أتردد عليها كل عشية فلم أزدد إلا حباً لها وإعجاباً بجميل خلقها، فزعمت لها ولأهلها أني تاجر أتنقل في البلاد وتزوجتها سراً من أبي لأنه كان قد سمى لي زبيدة بنت عمي . وصرت أختلف إليها إلى أن تزوجت زبيدة ومات المهدي ووليت الخلافة من بعده فشغلني ذلك عنها زمناً حتى اشتقت إلى لقائها فسرت إليها متنكراً لأكشف لها حقيقة حالي وأدعوها إلى الإقامة في القصر .

أمينة : ويحك يا حبيبي ماذا قطعك عنا طوال هذه المدة ؟

الرشيد : لن أنقطع عنك بعد اليوم يا أمينة . ستقيمين معي في قصري ببغداد .

أمينة : أوقد اشتريت لك قصراً ببغداد ؟

الرشيد : ما اشتريته يا أمينة بل ورثته عن أبي .

أمينة : لا حول ولا قوة إلا بالله . أوقد توفى أبوك دون أن أعلم ؟

الرشيد : بل سمعت بوفاته يا أمينة .

أمينة : لا والله يا حبيبي . من أين لى ذلك وأنا لا أعرفه . ولا أعلم إلا أن اسمه محمد بن عبد الله .

الرشيد : ما من أحد فى البلاد إلا سمع بموته .

أمينة : ماذا تعنى يا هارون ؟

الرشيد : ألم تسمعى بوفاة المهدى أمير المؤمنين .

أمينة : بلى .

الرشيد : فهو أبى .

أمينة : أبوك ؟

الرشيد : نعم وأنا هارون الرشيد .

أمينة : (نشيجها باكية) .

الرشيد : ما بالك تبكين يا حبيبتى ؟ ألا يسرك أن يكون زوجك أمير المؤمنين ؟

أمينة : لا .

الرشيد : فيم يا أمينة ؟

أمينة : قد فقدتك يا هارون فلم تعد لى .

الرشيد : ماذا تعنين ؟

أمينة : أنت زوج زبيدة بنت جعفر .

الرشيد : وزوج أمينة قبل زبيدة .

أمينة : هيهات . هى ابنة عمك ومن نسبك وحسبك .

الرشيد : لكنك حبيبتى الأولى .

أمينة : هيهات يا هارون أن تصفو لى بعد اليوم .

الرشيد : لا حق لك يا أمينة أن تجحدى حبى لك .

أمينة : فأين تريد أن تنزلنى ؟

الرشيد : فى القصر عندى .

أمينة : لتضار زبيدة بى ؟

الرشيد : لا شأن لك بزبيدة فأنا أعرف كيف أرضيها .

أمينة : هيه . أدركت الساعة بعض نيتك .

الرشيد : ماذا تعنين ؟

أمينة : أنشدك الله يا هارون بحق الحب الذى نعمنا حيناً فى ظله إلا ما أخبرتنى فصَدَقْتَنى . هل تستطيع أن تجعل لى فى قصرك نفس المنزلة التى لزبيدة ابنة عمك ؟

الرشيد : . . . . ؟

أمينة : ما بالك لا تجيب ؟ أجب .

الرشيد : أما هذا فلا ، ولكنى سأنزلك . .

أمينة : اسمع يا هارون . إنى تزوجتك دون أن أعلم أنك ابن المهدى أمير المؤمنين وإنما كنت أظنك من سواد الناس

ولو علمت أنك من بيت الخلافة ما تزوجتك ، فسرحني الآن سراحًا جميلا .

الرشيد : كلا لن أسرحك فإني أحبك .

أمينة : فأبقني حيث أنا وزرني حين تشاء .

الرشيد : لا يا أمينة لم يعد ذلك في إمكاني اليوم .

أمينة : بل تخشى زبيدة أن تعلم أن لك زوجة أخرى تختلف إليها .

الرشيد : ويلك قد أكثرت من ذكر زبيدة .

أمينة : أو يغضبك أن أذكرها ؟

الرشيد : لا غرو فهي ابنة عمي .

أمينة : فاهنأ بها إذن وطلقني .

الرشيد : كلا لن أطلقك وسأبعث من يحملك حملا إلى القصر .

أمينة : اذكر يا هارون أنني حرة ولستُ بأمة .

الرشيد : أنا أمير المؤمنين !

أمينة : وأنا لا أبالي !

* * *

الحاجة : وأرسلت إليها يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد : كلا يا سيدتي . لقد ندمت على أني أغضبتها ، فرجعت إليها بعد أيام لأسترضيها وأعاود إقناعها بقبول ما اقترحت

فوجدت الكوخ خياليًا وأرسلت فى البحث عنها فلم يقعوا لها على أثر .

الحاجة : وكنت تعلم أنها حامل ؟

الرشيد : نعم ، وكان ذلك ضاعف قلقى عليها وظلت حسرة فى نفسى طوال هذه السنين .

الحاجة : يرحمها الله . كان حبها الشديد لك هو الذى دفعها إلى ما فعلت .

الرشيد : آه لو كنت أعلم أنها مقيمة عندك !

الحاجة : تلك مشيئة الله يا أمير المؤمنين ليقضى أمراً كان مفعولا .

« ستار »

حارس البستان

١

[خلاء فى خارج مدينة طرسوس فى القرن الثانى للهجرة . يظهر فى الخلفية (الباكجروند) بعض أسوار المدينة وحصونها]

[على الطريق الجادة يلتقى اثنان عليهما سيماء الزهاد ،كلاهما يحمل مزوده وأدواته ويتوكأ على عصا . أما أحدهما فخارج من المدينة راحل عنها ،وأما الآخر فداخل إليها . الأول إبراهيم بن أدهم والثانى شقيق البلخى] .

إبراهيم : السلام عليكم

شقيق : وعليكم السلام ورحمة الله (ينظر إليه) أغلب الظن أنك من أهل خراسان ؟

إبراهيم : نعم أنا من خراسان .

شقيق : أنا أيضاً من خراسان . من بلخ ، أتعرف بلخ ؟

إبراهيم : أنا من بلخ .

شقيق : (يعانقه بحرارة) أهلا وسهلا بأخى وابن بلدى . سائح فى أرض الله ؟

إبراهيم : بل فقير ألتمس رزقاً .

شقيق : علام إذن لم تنزل بطرسوس ؟

إبراهيم : لم أستطيع أن أجد بها عملا يقيم صلبي فقررت الرحيل.

شقيق : إن لم تستطع أن تجد عملا فى طرسوس فلن تجده فى أى مكان آخر .

إبراهيم : أنت مقيم فى طرسوس ؟

شقيق : لا ، ولكن لى فيها أحبابًا وأصدقاء . إن شئت عدت إليها معى فدللتك على العمل الذى تنشده .

إبراهيم : شكر الله لك . أأنت أيضًا رحلت من خراسان فى طلب الرزق ؟

شقيق : الرزق يا أخى فى كل مكان حتى فى بلخ !

إبراهيم : (يبتسم ابتسامة خفية من لهجة الاعتداد بالنفس التى أحس بها فى كلام شقيق) ففيم إذن هاجرت ؟

شقيق : ألتمس الطريق .

إبراهيم : الطريق إلى الله ؟

شقيق : هو ذاك .

إبراهيم : فالله موجود فى كل مكان حتى فى بلخ !

شقيق : (يحس بالوخز) هذا حق، ولكن الوصول إليه يحتاج إلى مجاهدة وسياحة من قبل الطالب .

إبراهيم : أنت إذن من المجاهدين السائحين ؟

شقيق : أرجو الله أن يتقبل ويوفق .

إبراهيم : سمعت من بعض الصالحين أن المرء إذا أخلص سريرته تقبل الله منه ووفقه .

شقيق : هذا حق . نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص .

إبراهيم : سمعت أيضًا يا أخى أن الله لن يرزقنا الإخلاص إلا إذا أخلصنا .

شقيق : هذا كلام نفيس . هيه ما أراك إلا من المريدين . أنت سائح مثلى تلتمس الطريق ؟

إبراهيم : أنا ماش فى الطريق .

شقيق : إن كان لى أن أنصحك يا أخى فإياك والغرور .

إبراهيم : الغرور أحيانًا فى أن تظن بغيرك الغرور .

شقيق : منذ كم سرت فى الطريق ؟

إبراهيم : منذ سبع سنين .

شقيق : أنت إذن غير ملوم .

إبراهيم : وأنت منذ كم ؟

شقيق : منذ عشرين سنة وما زلت فى أول الطريق .

إبراهيم : يقول الله تعالى وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون .

شقيق : هل لى أن أسألك ؟

إبراهيم : تريد أن تمتحنى ؟

شقيق : إذا أذنت .

إبراهيم : افعل .

شقيق : ماذا ترى فى مقامى الشكر والصبر ؟

إبراهيم : هل لى أن أسمع رأيك أولا ؟

شقيق : إنا إن وجدنا شكرنا وإن لم نجد صبرنا .

إبراهيم : يا أخى هكذا كلاب بلخ إن وجدت شكرت وإن لم تجد صبرت .

شقيق : فماذا تقول أنت ؟

إبراهيم : إنا إن وجدنا آثرنا وإن لم نجد شكرنا .

شقيق : (فى طرب وفرح وقد زال ما كان يجده من الحرج فى أول الأمر) الله ! الله ! أنت الضالة التى أنشدها . الحمد لله إذ هدانى إليك . أنت إبراهيم ابن أدهم !

إبراهيم : (يتغير وجهه) وأنت شقيق البلخى .

شقيق : عجباً . . كيف عرفت ؟

إبراهيم : كما عرفتنى أنت .

شقيق : كلا أنا لست مثلك يا بن أدهم . أنت رجل مشهور .

إبراهيم : قاتل الله اللسان . لا يؤتى المرء إلا من لسانه .

شقيق : اللسان أداة التسبيح يا بن أدهم .

إبراهيم : ما نفع تسبيح اللسان إذا لم يسبح القلب ؟

شقيق : الله ! الله ! ائذن لى يا سيدى أن ألازمك .

إبراهيم : بل ائذن لى يا سيدى أن أودعك .

شقيق : لِمَ يا سيدى ألأننى عرفتك ؟

إبراهيم : نعم .

شقيق : إنى أعاهدك يا سيدى أن أكتم سرك فلا يعرفك أحد .

إبراهيم : إنك تريد أن تلازمنى .

شقيق : لا . لن ألازمك . بحسبى أن أجتمع بك بين الفينة والفينة ، فإنى أعرف أنك تنتقل من بلد إلى بلد هرباً من معرفة الناس لك .

إبراهيم : نعم .

شقيق : فسأكون لك عوناً على التخفى والتنكر فلا يعرفك أحد . هلم بنا إلى طرسوس . سأبحث لك فيها عن عمل يناسبك .

إبراهيم : ولا تدعونى باسمى ؟

شقيق : اقترح أى اسم لأدعوك به .

إبراهيم : ادعنى أبا إسماعيل الخراسانى .

شقيق : يا أبا إسماعيل أى نوع من الأعمال تختار ؟

إبراهيم : أى عمل ينأى بى عن الناس ولا يشغلنى عن ذكر الله .

شقيق : إنى أعرف صاحب بستان فى الضاحية فما ترى لو تعمل ناطوراً عنده فى البستان .

إبراهيم : عمل حسن . اذهب بى إليه .

٢

[فى البستان . بستان كبير . فى الخلفية يرى قصر صاحبه . كوخ صغير على باب البستان يقيم به الناطور (إبراهيم أدهم) وأمامه مصطبة يجلس عليها وهو يذكر الله]

[يظهر شقيق البلخى]

شقيق : كيف وجدت المكان يا أبا إسماعيل ؟

إبراهيم : جزيت خيراً يا شقيق . لقد أحسنت اختياره .

شقيق : إذن فائذن لى أن أنصرف .

إبراهيم : ألا تجلس قليلا . (يقدم كسرة خبز) شاركنى هذا الطعام .

شقيق : أنا على الشرط يا . . يا أبا إسماعيل (يخرج) .

إبراهيم : الحمد لله . الآن أستطيع أن أقيم هنا ما شاء الله أن أقيم (يبدأ فى أكل الخبز) (تظهر امرأة فقيرة على باب البستان) .

المرأة : عابرة سبيل يا سيدى . جائعة مستحقة أطعمنى مما أطعمك الله .

إبراهيم : خذى يا سيدتى . هذا رزقك أنت (يعطيها كسرة الخبز) .

المرأة : نصف رغيف . كل ما سخت به نفسك ؟

إبراهيم : ما عندى غيره . فاعذرى وسامحى .

المرأة : أعطنى شيئًا من الفاكهة .

إبراهيم : ما عندى يا سيدتى .

المرأة : وهذا البستان كله ؟

إبراهيم : هذا لصاحبه وليس لى . إنما أنا ناطور .

المرأة : أتخشى أن يحاسبك سيدك إذا قطعت لى تفاحة أو عنقود عنب ؟

إبراهيم : إذا عدت غداً فسأعطيك من الفاكهة بعد استئذان المالك .

المرأة : غداً ؟ لو أستطيع أن أنتظر إلى غد ما مددت يدى بالسؤال . أطفالى فى البيت يتضاغون من الجوع .

إبراهيم : طيب . انتظرى . (يغيب قليلا ثم يعود ومعه تفاحتان وعنقود من العنب فيناول ذلك المرأة) .

المرأة : جزيت خيراً . . لن يعلم بهذا أحد (تخرج) .

إبراهيم : (يتمتم) تفاحتان اثنتان وعنقود عنب . ما أظن ثمن ذلك يزيد على درهم واحد . فليأخذ منى درهماً ونصف درهم على سبيل الاحتياط .

٣

[بعد أيام من حوادث المشهد السابق]

إبراهيم : (لمعتوق وكيل صاحبة البستان) خذ هذا يا سيدى .

معتوق : ما هذا يا أبا إسماعيل .

إبراهيم : ثمن رمانتين أخذتهما من البستان أمس .

معتوق : كل يوم تأخذ شيئًا من البستان وتعطيني به ثمنًا ؟ والله لا أدرى أأنت ناطور عندنا أم تاجر ؟

إبراهيم : أنا يا سيدى ناطور .

معتوق : اسمع يا هذا . إن مالت نفسك إلى شىء من البستان فكله ولا حرج عليك .

إبراهيم : كلا يا سيدى إنى لا أستحل ذلك .

معتوق : قد أذنت لك .

إبراهيم : ما يدريني هل ترضى سيدتك مالكة البستان إذا علمت أو تسخط .

معتوق : ما شأنك بمالكة البستان ؟ أنا هنا مكانها .

إبراهيم : شكراً لك على كل حال ، لكن دعنى وما اخترت لنفسي لو تكرمت .

معتوق : كما تحب يا أبا إسماعيل . اسمع الآن قبل أن أنسى . إن السيدة المالكة تنوى زيارة البستان اليوم ومعها

صديقاتها من علية القوم، فاجمع لها شيئاً من التفاح ومن العنب ومن الرمان .. تخير أجود ما فى البستان .

إبراهيم : سمعاً يا سيدى (يخرج) .

معتوق : (يتمتم) يظن أننى سأسلم هذه الدراهم للسيدة المالكة . ياله من أحمق، لكن من يدرى لعله يختال لنفسه كثيراً من الفاكهة ويظهر لنا ورعه، هذا خديعة منه لئلا تنكشف خيانته . إنه كثير الصلاة كثير الذكر . لكن ألا يجوز أن تكون هذه حبائله ؟ حبائل الشيطان ؟

٤

[غرفة فى القصر الذى فى البستان]

[تجلس السيدة المالكة ومعها صديقتان لها حول مائدة وقد رفعت الصحاف وجاء دور الفاكهة فقدمت أطباق التفاح والعنب والرمان]

إحداهما : هذه الفاكهة من بستانك ؟

المالكة : نعم . لا يوجد فى طرسوس كلها أجود فاكهة من هذا البستان .

الثانية : (تأكل من تفاحة فتكف) وى ! هذه تفاحة حامضة !

المالكة : حامضة ؟

الأولى : (تأكل من عنقود عنب) والعنب أيضا حامض .

المالكة : حامض ؟

الأولى : ألا تصدقين ؟ ذوقى إن شئت .

الثانية : وذوقى هذه التفاحة .

المالكة : (تتذوق من التفاح والعنب فتثور غاضبة) قبح الله هذا الوكيل ! يقدم لنا الفاكهة التى لم تنضج ! (منادية) معتوق ! يا معتوق !

معتوق : (يدخل) لبيك يا سيدتى .

المالكة : لا لبى الله لك صوتاً . ما هذا الذى قدمت لضيوفى يا أحمق ؟ تفاح حامض وعنب حامض. قبحك الله . أتستأثر بالحلو وترمى لى ولضيوفى الحامض ؟

معتوق : معذرة يا مولاتى . الناطور هو الذى جمع الفاكهة .

المالكة : ويلك كيف تعتمد عليه فى أمر كهذا ؟ لماذا لم تتخير أنت بنفسك ؟

معتوق : ما خطر ببالى يا مولاتى أنه لا يحسن اختيار الفاكهة .

المالكة : أنت مسئول أيضاً عن اختيار هذا الناطور . ألست أنت الذى عينته ؟

معتوق : بلى يا مولاتى لما بلغنى من صلاحه واستقامته .

المالكة : ادعه لى الساعة .

معتوق : حالا يا مولاتى (يخرج منطلقاً) .

المالكة : (تتخير من الأطباق ما تراه جيداً فتقدمه لصديقتيها)

هذا حلو . كلى يا فاطمة . وأنت يا خديجة كلى من هذا العنقود .

(يدخل معتوق ومعه إبراهيم)

المالكة : أنت الذى جمعت لنا الفاكهة اليوم ؟
إبراهيم : (خجلا يتقى النظر نحو النسوة) نعم يا سيدتى .
المالكة : أقصدت أن تحرجنى أمام ضيوفى بتقديم هذا التفاح الحامض والعنب الحامض ؟
إبراهيم : معاذ الله يا سيدتى أن أقصد ذلك .
معتوق : ألم أؤكد عليك أن تتخير أجود ما فى البستان ؟
إبراهيم : بلى ، وقد ظننت أنى فعلت ، ولكن لعلى أخطأت .
المالكة : ويلك تعين ناطوراً لا يميز بين الحلو والحامض ؟
معتوق : يا مولاتى غير معقول أنه لا يميز بين الحلو والحامض . لقد صار له عندنا اليوم عام ونصف عام فلو كان طفلا صغيراً لميز .
إبراهيم : (مغلقه) أنا . أنا
المالكة : أنت ماذا ؟ تكلم .
إبراهيم : أنا لم أذق شيئاً مما فى البستان .
المالكة : طوال هذه المدة لم تذق شيئاً ؟ اضحكن معى وتعجبن من هذا الناطور (يقهقهن ضاحكات) .

معتوق : يا أبا إسماعيل لقد كنت أظنك صالحًا فما حملك على أن تكذب ؟

المالكة : وكذاب أيضًا ؟ أى ناطور هذا ؟

إبراهيم : أنا والله ما كذبت .

معتوق : هذه كذبة ثانية . يا مولاتى إنه كثيراً ما يطلب منى أن أقتطع من أجره الشهرى دراهم معدودة يزعم أنها ثمن ما استهلك لنفسه من فاكهة البستان فى بعض الأيام . فكيف يزعم الساعة أنه لم يذق شيئًا من البستان قط ؟

المالكة : ما تقول فى هذا أيها الناطور الورع ؟

إبراهيم : ياسيدتى أرجو أن تبحثوا لكم عن ناطور غيرى فإنى لم أعد أصلح لهذه المهنة .

النسوة : (يتضاحكن) مسكين ! إن كان لا يصلح ناطوراً فلأى شىء يصلح ؟

إبراهيم : سامحينى يا سيدتى فيما بدر منى دون قصد .

المالكة : اذهب يا معتوق فأعطه حسابه .

معتوق : تعالى معى يا أبا إسماعيل (يخرجان) .

٥

[شقيق البلخي ومعتوق أمام مصطبة إبراهيم وقد ظهر في وجه شقيق الأسف والحزن]

معتوق : أقسم لك ما طردناه نحن ولكنه هو الذى استعفى .

شقيق : لا بد أنكم أحرجتموه .

معتوق : بل هو الذى أحرجنى أمام سيدتى . وأحرج سيدتى أمام ضيوفها والله لولا مكانه منك لكان لى معه شأن آخر .

شقيق : أنت تظن أنه كذبك حين قال إنه لم يذق شيئاً من البستان قط ؟

معتوق : لست أظن ظنًّا بل أوقن وأجزم .

شقيق : أنت لا تعرف هذا الرجل يا معتوق . لو كذب من فى الأرض جميعاً ما كذب هذا (تنظر المرأة الفقيرة على باب البستان وتتطلع إلى الرجلين) .

معتوق : ما خطبك ؟ ماذا تريدين يا امرأة ؟

المرأة : سأنتظر حتى يجىء .

معتوق : من ؟

المرأة : الناطور .

معتوق : ماذا تريدين منه ؟

المرأة : (فى حذر) لا شيء . . حتى يجيء هو .

شقيق : (بلطف) يا سيدتى قولى ما عندك ولا تخافى فأنا من أصدقاء الناطور .

معتوق : هل كان يعطيك من فاكهة البستان ؟

المرأة : نعم . جزاه الله خيراً . أين هو يا سيدى ؟

(يتبادل شقيق ومعتوق النظر)

معتوق : انتظرى قليلا (يغيب لحظة)

المرأة : (لشقيق) أين الناطور الطيب يا سيدى ؟

معتوق : (يعود بشيء من الفاكهة فيعطيه للمرأة) خذى .

المرأة : الناطور هو الذى أوصاك أن تعطينى ؟

معتوق : نعم .

المرأة : جزاه الله خيراً وجزا كما أنتما أيضاً خيراً . سيفرح أطفالى اليتامى بهذه الفاكهة .

(تذهب)

شقيق : أرأيت يا صاحبى ، لقد فاتك خير كثير إذ تركته يرحل عنك . أتدرى من كان هذا الرجل ؟

معتوق : من ؟

شقيق : إبراهيم بن أدهم !

معتوق : (فاغراً فاه من الدهش) إبراهيم بن أدهم ؟

شقيق : نعم . نعم .

معتوق : لأبحث عنه فى المدينة وأعيدنه .

شقيق : هيهات . لا بد أنه قد ترك المدينة إلى مدينة أخرى .

معتوق : هلا أخبرتنى من الأول يا سيدى ؟

شقيق : او عرف أنك عرفته ما رضى أن يبقى عندك ساعة واحدة .

معتوق : وا أسفاه على كنز ما علمت به إلا حين ضاع !

« ستار »

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٥٠٥ / ١٩٧٣

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧٣

١٢٥